# التراث الثقافي والحضاري الكردي في كتابات الرحالة خلال القرن السابع عشر الميلادي، دراسة في كتابات الرحالة "أوليا جلبي" إلى كردستان ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م

د. أحمد سعيد السيد زيدان

كلية الآداب-جامعة دمنهور / جمهورية مصر العربية

**الملخص:**

الهوية الكردية هوية مميزة، ولها أسس راسخة في تكوين الأمة الكردية، وتتفق الهوية الكردية فيما بينها على عدة أسس وهي وحدة اللغة، ووحدة التاريخ، ووحدة الثقافة، ووحدة المصير. ومن هذا المنطلق كان الباعث لاختيار موضوع الدراسة للتنقيب عن التراث الثقافي والحضاري الكردي كباعث من بواعث القومية الكردية، حيث أن التراث الكردي تراث مميز، والتمسك به وتنميته التنمية المستدامة يساعد على استمرارية الهوية الكردية، وخاصة مع زيادة التحديات في عصر العولمة، والذي تميز بتداخل الثقافات مع انتشار الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وقد يتسبب في حال عدم أخذ الحيطة إلى تحلل القيم المجتمعية وبالتالي القضاء على الهوية المميزة للشعوب.

"أوليا جلبي" خلال رحلته إلى كردستان خلال القرن السابع عشر الميلادي، حيث سيتم تناول المظاهر الحضارية الكردية التي وصفها من خلال النقد والتحليل، وذلك من خلال دراسة موضوعات تتعلق بنمط الحياة والعادات والتقاليد، والحرف والصناعات الكردية، والتراث العمراني الكردي من تصميم للمدن والقلاع والبيوت، والفولكلور الكردي.

وفيما يلي سوف يتم تناول مظاهر الحياة في كوردستان خلال فترة الدراسة من خلال مبحثين أساسيين، يتعلق الأول منها، ببعض المظاهر الحضارية في كوردستان من خلال رؤية أوليا جلبي؛ وأما المبحث الثاني فيتعلق بالعلاقات بين الأكراد والعثمانيين، وذلك من خلال دراسة الظروف التي ارتبطت بهجوم العثمانيين على بدليس.

**الكلمات الدالة:** *الامارات الكردية، الرحلات، اوليا جلبي، بدليس، الحضارة*

## أدب الرحلات و اسبابه:

منذ أن وطأت قدم الإنسان على هذه الأرض وهو يحاول جاهداً استكشاف ما يحيط به من أسرارها قاصداً التعرف على المجهول منها والسيطرة على ربوعها والاستفادة من خيراتها وأدواتها وكائناتها، فأخذ يتنقل من مكان إلى آخر في رحلة يومية استكشافية يتعرف فيها على ما يحيط

به من أراض غامضة ومناطق وعرة وموانع طبيعية في ظروف مناخية قاسية أحياناً؛ لأنه لم يتعود على مثلها في بيئته الأصلية. وكانت عدته في هذه الرحلة بدائية تعتمد على الطبيعة وما جابت به من دواب وحيوانات وأدوات صاحبته فيها لكشف المجهول. وقد استنهضت هذه المهمة قدراته البدائية المحدودة، فراح يفكر ويفكر في قهر الصعاب واجتياز الموانع والعقبات لتذليل الطبيعة ومكوناتها وأدواتها وكائناتها لخدمة أغراضه، ومطالبه، وتحقيق طموحاته، وآماله. وتبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معيَّن خلال فترة زمنية محددة. ولهذا فللرحلات قيمة تعليمية حيث أنها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين. وتصور كتابات الرحالة، أيا كانت توجهاتهم الفردية، ونزعاتهم الشخصية، تصور إلى حد كبير ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه، كما تضيف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها، سواء كانت الرحلة فعلية أو من نسج قصص الخيال مثل رحلات السندباد البحري السبع التي وردت في حكايات ألف ليلة وليلة (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ٥). ويدعم الرحالة كتاباتهم بانطباعاتهم الشخصية سواء كانت سلباً أو إيجاباً حسب الرؤى الخاصة بهم. وتسجل هذه الكتابات معلومات قيمة في فترات سابقة من الزمان فقد يغفلها كتاب التاريخ أو تندر الكتابة عنها، وهي وجهة نظر لها احترامها وفائدتها، فقد تركز أحياناً على مسائل دقيقة، كأن تكشف هذه الكتابات عن لغات مجهولة أو لهجات غير مسجله في كتب اللغات أو تراث شعبي غير مدون، أو تكتشف عادات وتقاليد نادرة في مناطق نائية بين فئات محدودة من أفراد الشعب أو قبائل تعيش في أقاليم مجهولة أو مجموعات بدائية لا تميل إلى الاختلاط وتؤثر الانعزال والانطواء عن العالم (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ٧). وأما العوامل التي دفعت الرحالة إلى القيام برحلاتهم المتعددة والطويلة في أرجاء المعمورة كثيرة ومنها (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ٨- ١٠):

١- **طلب العلم:** تعتبر الرحلة من أهم وسائل طلب العلم والمعرفة والتفقه في الدين لدى المسلمين، فقد كان طلاب العلم بسبب ندرة الكتب ينتقلون بين المراكز العلمية والحضارية طلباً للعلم على يد مشاهير الفقهاء، والصوفية، والمحدثين، واللغويين، والفلاسفة، والرياضيين، والمنجمين.

٢- **التجارة:** اتسع نطاق التجارة عند المسلمين اتساعاً لم يبلغه عند شعب آخر قبل اكتشاف أمريكا، فانتشرت قوافل المسلمين في معظم أنحاء العالم، وخاضت سفنهم البحار والمحيطات، وازدهرت على أيديهم الطرق التجارية بين بحار الصين وآسيا الوسطى وسواحل بحر البلطيق والأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وساحل أفريقيا الشرقي، وجزر المحيط الهندي، وصحاري السودان. وكان التجار يحملون السلع

بين الأسواق المختلفة في العالم، ويقومون بالرحلات الطويلة في هذا المجال. وقد كان بعض التجار من طائفة الفقهاء ويجمعون بين التجارة وطلبة العلم من وراء رحلاتهم الطويلة تأكيداً للفائدة.

٣- **الحج**: وكان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين إلى الرحلة إلى بيت الله الحرام. وقد انتهز بعض الرحالة هذه الفرصة الطيبة لأداء المشاعر المقدسة ووصف رحلة الحج بما فيها من مشاق السفر ومتعة أداء الفريضة، وقد تحدث بعضهم عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي صادفوها ودونوا مشاهداتهم وانطباعاتهم ممزوجة بمشاعرهم الروحية تجاه الأماكن المقدسة.

٤- **نشر الدعوة الإسلامية**: تجوّل بعض الرحالة المسلمين في بعض الديار غير الإسلامية بهدف نشر الدعوة الإسلامية، وقد تحملوا في سبيل ذلك مشاقاً كثيرة وعناءً بالغاً.

٥- **السياحة**: تعتبر الرغبة الشخصية في السفر والسياحة لإشباع هواية الاطلاع على البلاد الأخرى والشعوب الأخرى من أهم العوامل التي تدفع إلى السفر والترحال.

٦- **جمع المعلومات**: هناك نوع آخر من الرحلات وهي الرحلات التي يكلف بها الوالي أحداً من أتباعه لجمع المعلومات عن بعض المناطق التي يريد غزوها وعن بعض الجيوش التي يريد منازلتها. ويلاحظ من خلال الدراسة الحالية، أن الرحلة التي شارك فيها الرحالة أوليا جلبي في كوردستان، قد يكون سببها الأساسي هو جمع المعلومات عن بعض المناطق التي يرغب سيده في غزوها، كما سيتبين من صفحات الدراسة الحالية.

٧- **البعثات الدينية**: وهي البعثات التي أرسلت بطلب من بعض الحكام غير المسلمين. كالبعثة التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدر بالله عام ٣٠٩ هـ/ ٩٢١م، إلى بلاد البلغار عندما طلب ملكها بعثه دينية بسبب دخول كثير من البلغار في الإسلام. وقد رأس هذه البعثة "ابن فضلان" الذي وضع كتاباً وصف فيه هذه البلاد وحضارتها، وعادات أهلها، وأحوالهم، وتجارتهم.

**الترجمة الخاصة للرحالة أوليا جلبي:**

أما عن الترجمة الخاصة بالرحالة "أوليا جلبي"، فهو "بن محمد ظلي" ولد في ١٠ المحرم ١٠٢٠هـ/ ٢٥ مارس ١٦١١م. كان أباه يعمل كرئيس للصياغ في قصور السلاطين الذين عاصرهم. وقد ساهم في زخرفة بوابة جامع السلطان أحمد الأول [١٦٠٣ – ١٦١٧م] الذي يقال له في اللغات الأوربية الجامع الأزرق. وشارك في بعض الحروب التي قام بها السلطان " سليمان القانوني" [١٥٢٠ – ١٥٦٦م] على حد قول "أوليا جلبي" نفسه في الجزء الأول من كتابه سياحتنامه. وقد عمر الأب طويلاً حتى قيل أنه ناهز ١١٧ عاماً حين وفاته في جمادى الآخرة ١٠٥٨ هـ/ يوليو ١٦٤٨م. أما

والدة الرحالة فهي أبخارية من القوقاز، وتنحدر من عائلة أباظة. ويرجع الفضل في تسمية "أوليا جلبي" بهذا الاسم إلى استاذه الأثير إلى نفسه "أوليا محمد أفندي"[1] الذي كان يعمل إماماً في البلاط السلطاني. ومعنى هذا الاسم فى العربية "السيد الولي". أنهى "أوليا جلبي" تعليمه الأول في "كتاب الصبيان" ثم تتلمذ لمدة سبع سنوات على يد شيخ الإسلام "حميد أفندي". وبعد ذلك واظب على الدرس في مدرسة أخرى لمدة أحد عشر عاماً حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم الترتيل والتجويد كما درس الشريعة الإسلامية وأتقن العربية والفارسية وأجاد الكتابة بهما، وقرأ تاريخ العرب وشغف بشعر "سعدي الشيرازي" [٦٩١ أو ٦٩٤ هـ/ ١٢٩١ أو ١٢٩٤م] و"جلال الدين الرومي" [ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م] واستشهد بأشعارهما في كتاباته، وتعلمَّ من والده الأعمال اليدوية وصياغة الذهب والفضة (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٠). وفي ليلة القدر من عام ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٦م اختير لترتيل القرآن الكريم في جامع أيا صوفيا بإستانبول، فلفت الأنظار إليه، وكان من نتيجة ذلك أن قدمه السلحدار[2] "أحمد أغا" إلى السلطان "مراد الرابع" [١٠٣٢ – ١٠٤٩ هـ/ ١٦٢٣ – ١٦٤٠م] فأمر السلطان بإلحاقه بمدرسة القصر حيث تعلم الموسيقى، وفن الخط، وقواعد اللغة العربية. وقد ساعده ذكائه وفطنته، وروحه المرحة على التقرب من السلطان. وبعد أن واظب على الدرس في هذه المدرسة لمدة أربع سنوات حصل على رتبة جندي في الجيش العثماني وشارك في بعض المعارك على حد قوله في كتابه (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٠، ١١).

عشق "أوليا جلبي" السفر والترحال منذ بلغ التاسعة عشر من عمره، وقد بدأ أولى جولاته في إستانبول والمناطق المحيطة بها في سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م، ثم جاب بعض مناطق الأناضول. ويقول أنه رأى رؤيه في المنام حفزته على السفر والترحال، وهي أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم، فطلب منه الشفاعة والسياحة، فرد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً اللهم يسر له الشفاعة والسياحة والزيارة والحج بالصحة والعافية. وهذه الرؤيا قاسماً مشتركاً بين الرحالة الأتراك تقريباً؛ فقد ذكرها الرحالة التتري الشهير "عبد الرشيد إبراهيم" الذي طاف تركستان وسيبريا، ومنغوليا، ومنشوريا، واليابان في مطلع القرن العشرين وألف كتاباً عن هذه البلاد بالتركية سماه "العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين".

تجول "أوليا جلبي" في مناطق عدة من الإمبراطورية العثمانية إما مرافقاً لبعض الولاة، أو الموظفين الكبار، أو حاملاً للبريد، أو مصاحباً لحاملي البريد، أو مشاركاً في بعض المعارك أو في إخماد بعض الفتن والقلاقل، فقد كان من قوات الفرسان العثمانية عندما تلقى تدريبة وهو في مرحلة الشباب في مدرسة القصر السلطاني (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١١). وقد أدى "أوليا جلبي" فريضة الحج عام ١٠٥٩ هـ/ ١٦٤٩م، وأرجأ الحديث عنها إلى الجزء التاسع من كتابه ولم يذكرها في سياقها الزمني مع أحداث الجزء الثالث. وقد عاش الرحالة ٧١ عاماً ميلادياً تقريباً، أنفق منها

نصف قرن على وجه التقريب يجوب مناطق كثيرة ويسجل مشاهداته وملاحظاته في كتابه "سياحتنامه" الذي يحتوي على عشر مجلدات ضخمة وضع آخر لمساته وتنقيباته عليها في أواخر أيامه. والمرجح أنه توفي في عام ١٠٩٤ هـ/ ١٦٨٢م ولا يعرف مكان وفاته بالضبط هل هو في مصر أم في تركيا. ويعتبر "أوليا جلبي" أشهر رحالة تركي، ومن أشهر الرحالة المسلمين عبر التاريخ وربما يأتي ترتيبه بعد "ابن بطوطة". ذاعت شهرته كرحالة في القرن السابع عشر الميلادي، واستحوذ على اهتمام الكتاب والباحثين والمستشرقين لأهمية كتاباته واتساع رقعة الديار التي خاض دروبها وسجل مشاهداته وانطباعاته عنها (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٢).

ولقد زار الرحالة "أوليا جلبي" بعض مناطق بلغاريا، والقازاق في روسيا، والبوسنة، والقيرم، وبلغراد. واشترك في الحرب ضد النمسا، وشاهد بوهيميا [النمسا – المجر] والسويد، حتى هولندا وفيينا. وطاف بمعظم ولايات الأناضول، كما زار الإفلاق والبغدان [رومانيا الحالية] وترانسيلفانيا الشمالية، واليونان، والمورة، وكريت، وبلاد الأرناؤوط [ألبانيا الحالية]، والدولة الصفوية، والعراق، والحجاز، وسوريا، ومصر، والسودان، والحبشة (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٦).

وأما بالنسبة لأسلوب "أوليا جلبي" في الكتابة، فلقد قرأ كتب الرحلات العربية والفارسية التي ترجمت إلى التركية العثمانية، واستفاد من رحلة ابن بطوطة بنوع خاص، حيث يسير على منواله في الاهتمام بالأساطير الشعبية والخرافات والنوادر، كما تشبع بطريقته في وصف الآثار وتتبع الأحداث التاريخية وتناولها بالشرح والتحليل مضيفاً إليها شيئاً من مشاعره وانطباعاته. والملاحظ على "أوليا جلبي" أنه يتمتع بقوة الملاحظة وبفكر موسوعي ودقة في الملاحظة وتركيز في الاهتمام، وهو صادق في درجات اهتمامه وأمين في نقل المشاهد التي رآها أو التي ركز على رؤيتها، ويتمتع بأسلوب رصين لا يخلو من طرافة وخيال خصب كان يمزجه بالمشاهد الواقعية؛ لأنه كان ينقل أحاسيسه وانفعالاته وانطباعاته عن المعالم الحضارية والبشرية التي استرعت انتباهه. ولقد نقل "أوليا جلبي" صوراً حيَّة وصادقة عن مشاهداته، وكانت هناك عاطفة قوية نحو ما يصف وما يصور سواء كانت هذه العاطفة مبعثها الحب والأعجاب أو البغض والكراهية (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٦، ١٧). وكان مغرماً بذكر المواقف الغريبة والنادرة، وشغوفاً بالحديث عن القصص والأساطير والخرافات الخيالية التي سمع بها مهما كانت شطحاتها؛ لأنها تشكل جزءاً من تراث الشعوب. وكان يركز أحياناً على النوادر والغرائب والعجائب ويأتي من أحوال البلاد بما يستغربه الناس، فيشيع الإثارة والبهجة ويجعل القارئ يستمتع بمتابعته. وهو مشاهد جيد يحمل بين جنباته روحاً مرحة وطبيعة قصصه لطيفة. وأسلوبه لا يخلو من الطرافة والجاذبية في عرض الأحداث وإيراد المعلومات. وتأثير عامل الخيال يبدو واضحاً في كتاباته؛ لأنه صاحب خيال خصب يعمله أحياناً. وقد قاده خياله في بعض الأحيان إلى المبالغة والمغالاة وهو يصور

الأحداث ويجسدها وقد كان يتمتع بقدرة فائقة على التصوير والتجسيد. وكان يلجأ إلى تجسيد الأفكار بصورة وصفية رائعة وملموسة لأثبات ما يرمي إليه من معان وأفكار، ومن الأمثلة على تلك الأفكار، كما أوردها في كتاباته، ما يلي:

- رأيت عصفوراً طار من سطح منزل إلى سطح منزل آخر في مدينة "قارص" بأقصى شرق الأناضول فتجمد في الهواء. [يرمي من وراء ذلك إلى تصوير مدى ما بلغه الطقس من برودة في مدينة قارص؛ لأن درجة الحرارة في الماء قد تصل إلى ما دون العشرين أحياناً].
- إذا أكل الإنسان خروفاً ثم احتسى شربة ماء واحدة من مياه منابع شط العرب التي تمر بديار بكر بالأناضول، فإنه يجوع في التو واللحظة، [ومعنى هذا أنه يرمي إلى وصف مدى صفاء ونقاء وعذوبة وفائدة مياه منابع شط العرب].
- تشتهر منطقة "وان"[٣] في شرق الأناضول بالكرنب الذي تزن كربنتان منه حمل بعير، [وهذا مثال على المبالغة لتوضيح ما بلغة الكرنب في هذه المنطقة من كبر في الحجم] (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٧، ١٨).
- اشترطت الأفعى التي سدت الثقب الذي حدث في سفينة نوح ومنعتها من الغرق عند قلعة سنجار في ديار بكر بالأناضول. أن يطعمها نوع بلحم إنسان. فجاء جبريل وأصدر أوامره بقتل الأفعى، وعدم تلبية طلبها؛ لأن الله هو الذي جعل نوحاً يتسبب في انقاذ السفينة من الغرق وليست الأفعى. [وهذا مثال على الأساطير الشعبية المرتبطة بالعقيدة] (فهرس المكتبة الوطنية الألمانية).

**ويرى الباحث أن ما يميز رحلة أوليا جلبي خلال فترة الدراسة**، هي أولاً، خبرة أوليا جلبي في مجال السفر والترحال ودقته في نقل الأحداث والتي جعلت من دراسته لأحوال كوردستان، ونقله لظروف الحياة بها، مصدراً هاماً لدراسة التاريخ. **وثانياً** أن أوليا جلبي تميز بالحيادية في نقل الأحداث، لدرجة أنه لم يجد من الحرج في وصف "عبدال خان" خان "بدليس"[٤] بصفات طيبة، وهو عدو سيده. كما أنه وصف الهمجية التي ترتبت على هجوم سيده "ملك أحمد باشا" على التراث الحضاري الكوردي في "بدليس"، وكنتيجة لهجوم سيده "ملك أحمد باشا" على خان "بدليس".

**المبحث الأول:**

**بعض المظاهر الحضارية في كوردستان من خلال رؤية الرحالة أوليا جلبي في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي:**

كانت رحلة "أوليا جلبي" إلى كوردستان، وهي موضوع الدراسة الحالية، ضمن مهمة رسمية، تم تكليفه بها من جانب أعلى الأوساط في الباب العالي حينذاك. وكان أوليا جلبي في خدمة الصدر الأعظم "ملك أحمد باشا" (١٦٠٤- ١٦٦٢م) (جلبي، ٢٠٠٢، صـ ١٩)، والذي أصبح والياً

على "ديار بكر"، ثم أناط به السلطان " مراد الرابع" مهمة القضاء على إمارة " بدليس" الكردية وأميرها "عبدال خان"، وكانت رحلات "أوليا جلبي" المكوكية إلى كوردستان، وبرفقة ""ملك أحمد باشا" إلا للتمهيد لهذا الغرض (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٦، ٧). وتحرك "أوليا جلبي" من مدينة "اسكودار"[٥] التركية في اليوم الأول من شهر جمادي الأول عام ١٠١٥ هـ، متوجهاً إلى إيالة "وان"، وكان برفقته سبعة من الفرسان (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٦- ١٣). ولقد زار الرحالة "أوليا جلبي" عدداً من المدن والمناطق الحضارية الكردية، ومنها: "ملاطية، وديار بكر، وحزو، وبدليس". ولقد قدم الرحالة في رحلته وصفاً دقيقاً لمشاهداته الحضارية في تلك المدن، فتحدث عن عادات وتقاليد أهلها، وعن مبانيها، وقلاعها، وحياتها الاقتصادية، وهو الأمر الذي يعكس مدى الازدهار الحضاري التي عاشته تلك المدن الكردية، وهو الأمر الذي يعكس أيضاً الهوية الكردية المميزة.

**أولاً، في وصف قلاع وحصون كوردستان:**

يتحدث "أوليا جلبي" بوجه عام عن مدى قوة حصون المدن الكوردية، ففي "ملاطية"، أوضح أن المدينة تحاط بالجبال من جهاتها الأربعة، وبين الجبال توجد سهول فسيحة، وبنيت قلعة ملاطية على قطعة أرض منخفضة، ولا يوجد سور للقلعة خارج المدينة، ولكن مداخلها تسد ليلاً[٦]. أما في "ديار بكر"، فعلى العكس من قلعة ملاطية، فقد بنيت القلعة على قمة جبل (ألبنت)، ووصف أوليا جلبي الجبل بأنه جبل عالي ذو حجارة سوداء. وفي شرق القلعة وإلى الجهة الشمالية، توجد قمة عالية (تناطح السماء)، وبهذا فإن أحد جوانب القلعة عالي، بينما الجوانب الشمالية والغربية وجهة القبلة هي أرض سهلية. ووصف كذلك سور القلعة بارتفاع يصل إلى (٤٠) ذراعاً، ويبلغ عرض الأسس في الأسفل (١٠ أذرع). وسميت القلعة باسم (قرة أمد) وذلك لأنها بنيت من الحجارة السوداء. ولقد أسسها البناؤون على شكل مربع، وبشكل حيث تتقابل كل أبراجها ومسناتها مع بعضها البعض، وفي وقت الحصار يستطيع الموجودون في أبراجها مشاهدة بعضهم البعض، والتعاون فيما بينهم. وبما أن القلعة مبنية على صخور طبيعية وقمة جبلية واحدة، لذا لا يستطيع الأعداء أثناء الحصار من فتح ثقوب في قاعدتها أو التقرب منها كثيراً، والخوف الوحيد على سكان القلعة، من وجهة نظر "أوليا جلبي"، هو ضرب الحصار على أهلها، وإطالة أمده، وفرض المجاعة على سكان القلعة. وميز "أوليا جلبي" قلعة "ديار بكر" عن غيرها من القلاع، فهي لا تشبه باقي القلاع في تكوينها من ثلاثة أو أربعة طوابق، بل تتكون من طابق واحد متين البنيان، وله أربعة أبواب حديدية. ولقد أسست القلعة على صخور طبيعية صلبة وسوداء، بحيث لو ضربت بآلاف المطارق الحديدية فلا تؤثر فيها، كما أنها لا تنفجر بالنار، وهو أمر رآه "جلبي" غريب. ويقول "جلبي" كذلك أنه قام بقياس سور القلعة والبوابات جميعاً بخطواته، فوجدها (١١) ألف خطوة. ويشغل سراي الباشا الزاوية الشرقية من القلعة، وهي محصنة ومنيعة ووعرة، ولم يستطع "جلبي" من قياسها. وبجانب

قلعة "ديار بكر" الخارجية، فتوجد قلعة داخلية، ويتكون محيطها من أربعة آلاف خطوة، وتتألف القلعة من (١٥٠) غرفة، وعدد من قاعات الضيوف، وسراي كبير، ومؤسس هذا السراي هو "بيقلي باشا: ١٤٥٨- ١٥٣٣م" وزير السلطان سليم، وهو سراي كبير. وداخل السراي يوجد مضيف قديم، وعلى جدرانه نقوش ومناظر لا مثيل لها إلا في مكان مثل القاهرة بمصر. وبوجه عام، فالقلعة الداخلية متينة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٤٥، ٤٦). أما قلعة "بدليس"، فيقول أوليا جلبي أنها تعود إلى "الاسكندر الأكبر"، ويسميها اليونانيين باسم "القلعة الكبيرة للإسكندر". وحكومة "بدليس" هي حكومة مستقلة تعود إلى إيالة "وان"، وفي حالة حدوث قتال، أو لأجل العمران في "وان"، يذهب جنود "بدليس" للمساهمة مع حاكم "وان" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١١٥، ١١٦).

ويتبين من وصف "أوليا جلبي" لقلاع كوردستان، مدى حصانتها، ومدى تطور العمارة الكوردية في بناء تلك القلاع، وخاصة مع وصفه لقلعة "ديار بكر" الحصينة. ولعل اهتمام الأكراد بتحصين قلاعهم عائداً إلى الطبيعة الجغرافية، ولاعتبار هذه المنطقة من مناطق الثغور عبر المراحل التاريخية المختلفة.

**ثانياً، في وصف مدن كوردستان:**

وصف الرحالة التركي "أوليا جلبي" مدينة ملاطية، وأوضح أنه يوجد فيها (٥٢٦٥) بيتاً، وكانت ملبوخة بلاطين، وكانت البيوت تتكون من طابقين، ومحاطة بالأسيجة. وتكثر في المدينة البيوت الواسعة التي تحتوي على حدائق ورياض داخلها. وبلغ عدد أحياء ملاطية (٣٢) حياً، وأشهرهم أحياء (الجمعة القديم، وحي الجامع الكبير، وحي الأمير عمر، وحي السراي، وحي البنات، وحي الخانقاة، وحي طوبطاشي، وحي قرخان، وحي جرمك، وحي المدخل المنقوش، وحي الفلاحين، وحي كوجك، وحي أعاراز، وحي الأكراد). ويوجد الأرمن في سبع أحياء من المدينة، ولا وجود لليهود بها، وبلغ عدد جوامع المدينة (٣٢) جامع، وكانت تصلى الجمعة في (١٢) منها، وأشهرها جامع (أولو). وأما بالنسبة للمساجد، فقد انتشرت في أزقتها، ووصل عددها ٢٠ مسجداً، وأقدمها داخل القلعة هو مسجد الأمير عمر، ومسجد قرة خان، ومسجد السراي، ومسجد البنات، ومسجد الخانقاة، ومسجد طوبداشي، ومسجد جرمك، والمسجد المنقوش، ومسجد الفلاحين، ومسجد بكداش أغا، والمسجد الصغير، ومسجد الأكراد. ووجد بالمدينة التكايا، ومنها تكية "غازي سيد الأبطال" داخل حديقة "اسبوزان" -حيث ولد السيد غازي هناك. ومنابع مياه المدينة عذبة وطيبة، وهي تنبع من جبل الفحم، وعيون دير المسيح. ووجد بالمدينة سبعة أسبلة مجاناً لشرب المياه (سبيل خانة). وكانت المدينة تضم عدد (١١) سرايا كبيرة، وبها أموال وبضائع كبار رجالاتها وأغنيائها. وأما بالنسبة للخانات[٧]، فكان أشهرها هو خان (مصطفى باشا السلحدار) والذي كان من معتمدي السلطان (مراد خان)، وضم هذا الخان عدد (١٧٠) غرفة، وكان يعلو سطحها القباب، ولها

بوابة حديدية كتبت عليها سنة صنعها. وكان بالمدينة سوق سلطانية عامرة، وكان يتوفر بها أنواع الأقمشة والأمتعة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٨). وأما بالنسبة لمياه آبار ملاطية، فالمدينة كان بها ألفي بئر، ذوات ماء عذب للشرب ولسقي البساتين، ومن غير هذا العدد فلكل منهم بئره الخاص به يستعمله عند الحاجة، وحتى الذين لا يحتاجون لمياه الآبار، فلهم آبار في بيوتهم (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٠، ٢١).

ويتضح من وصف "أوليا جلبي" للمدينة مدى تقدم الحياة الحضرية بها، ويلاحظ ذلك في عدد المنازل، والحدائق الموجودة بها، وعدد المساجد الكبيرة بالمدينة، وعدد السرايات، والخانات والتي تعكس مقدار غنى أهلها.

وأما "**ديار بكر**"، فهي مدينة قديمة، وهناك معابد قديمة، وجوامع كبيرة في مركز المدينة، ويقول "أوليا جلبي" نقلاً عن مؤرخوا الروم أن الجامع الكبير بالمدينة، قد أسس في عهد النبي موسى، وهناك كتابات عبرية على أحد الأعمدة الداخلية البيضاء، وكان هذا المكان بمثابة معبد في جميع العصور المتداولة، ويقال أن هذا الجامع هو في مصاف الجامع الكبير في حلب، والجامع الأموي في الشام، والمسجد الأقصى في القدس، والأزهر في مصر، وآيا صوفيا في استانبول. كما أن هناك أدلة عديدة على أنه كان كنيسة ثم حول إلى جامع، فمنارة الجامع الكبير مربعة الشكل تظهر على أنها بنيت لتكون ملائمة للناقوس، وأن المنبر والمحراب هما من الشكل القديم، وتم تزيينه من الداخل بالأضواء والقناديل وفيها أعمدة صغيرة وكبيرة ترفع فوقها ثلاثة طوابق من البناية. وفي داخل هذا الجامع يوجد مسجد منفصل للشافعية ويصلى فيه الشافعية، علماً بأن إستانبول مذهبها حنفي، وأما الشيعة حينها وحالياً فمعظمهم ينتمون للشافعي (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٤٧). وللجامع الكبير أربعة أبواب، والباحة الخارجية منه مفروشة بالمرمر الأبيض، وفي وسط الباحة هناك حوض مزود بمزاريب المياه للتوضؤ فيها، وتحاط الجهات الأربع من الباحة بالمصاطب، ولقد فرشت تلك المصاطب بالمرمر، وبألوانه المختلفة كالسماقي، والزنبوري، والأصفر. وأعمدة المسجد العليا أصغر حجماً من أعمدته السفلى، وللباحة ثلاثة أبواب من الجهات الثلاثة، ولها منارة مربعة الأطراف. وتتسع الباحة لألف مصلي. وجميع سلالمها وسقوفها الداخلية لقببها مطعمة بالنحاس (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٤٧، ٤٨).

كما وصف "أوليا جلبي" كذلك مزارات "ديار بكر"، ومنها مزار قرب سراي الباشا، وهو لشخص وصفه بأنه " مبروك" وهو ابن "خالد بن الوليد"، ويؤرخ "أوليا جلبي" أنه عندما قام الصحابي "خالد بن الوليد" بالحملة على "ديار بكر" وانتزعها من قيصر الروم، وحكم هذه المنطقة، توفي ابنه هناك، ودفن في هذا المزار. ووصف مزار آخر لرجل له أكثر من (٤٠) ألف مريد، وهو مزار الشيخ "الرومي"، ووصفه "أوليا جلبي" بأنه "الشيخ الكبير المتدين وصاحب الكرامات الإلهية... إن

هذا الرجل كان ثرياً جداً، وهو الذي جلب الشهرة لطريقة الخواجات الصوفية"، وهو أصلاً من أهالي "أرومية" في أذربيجان (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٧٢- ٧٥). كما أنه توجد في ديار بكر تكية للشيخ الرومي، وهي تكية عامة وليست خاصة، ويوزع فيها الطعام على جميع المسافرين والمهاجرين والفقراء (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٢).

وأما في وصف متنزهات "ديار بكر"، فيقول أنه لا نظير لجمالها في العالم، ففي بداية الربيع، وبعد سكون الفيضانات، وبعد أن تصبح المياه رائقة، يتوجه الأغنياء والفقراء من أهالي "ديار بكر" مع نسائهم وأطفالهم إلى ضفاف النهر، وتقوم كل عائلة بنصب الخيام في المكان المخصص لها. ويقوم الأهالي بزراعة نوعاً من الريحان كحواجز بين بساتينها، وفي مدة شهر يرتفع الريحان بحيث لا يمكن رؤية الطرف الآخر منه. كما يقومون بصنع العرائش على الضفاف، ويضعون الريحان على السطح والأطراف الأربعة من العريشة، وبعد فترة التزهير، تقع البذور على الأرض وينبع منها جيل جديد من الريحان. وتكبر سيقان الريحان، وتستعمل بعد سبعة أو ثمانية أشهر كأعمدة للخيام، أو كدعائم، كما تستعمل عيدانها في إشعال النار، مما يبعث منها رائحة طيبة. وتستمر الأفراح والاحتفالات وتناول المأكولات والأغاني والتنزه على الضفاف لمدة سبعة أشهر كاملة. ويقوم الأهالي ليلاً وعلى جانبي النهر بإضاءة الشموع، وأنوع السراج، والفوانيس، ويقوم الأهالي بتثبيتها على قطعة خشبية ويقذفون بها إلى النهر مما يشكل منظراً خلاباً يصفه أوليا جلبي "فتتحول ظلمة الليل إلى وضح النهار". وأما متنزه "قوس"، فيصفه "أوليا جلبي" أنه قطعة من الجنة، حتى أن السلطان مراد الرابع عند زيارته لديار بكر، نزل في هذا المتنزه، وقضى وقته هناك، ويقول أوليا جلبي عن هذا المتنزه "أنه لا يمكن وصفه بالقلم ولا بالقول"(جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٧١). وأما الخانات، ففيها خانات عامرة مثل خان "حسني باشا"، ويصفه "أوليا جلبي" قائلاً "وكأنه قلعة". ويوجد كذلك خان التجار، ذو المنظر الجميل، وفيها عدة غرف للحرفيين. وأما الأسواق في "ديار بكر"، فمنها سوق "حسني باشا"، وسوق "العطارين"، والذي يتعطر به حتى المارون، وسوق "الدلالين"، وسوق "الحدادين"، وسوق "الصاغة"، ويقول "أوليا جلبي" عن أسواق "ديار بكر": "وباختصار فيها ستون سوقاً". وتصنع في "ديار بكر" أنواع السيوف، والمسدسات، والمعاول، والفؤوس، وفؤوس القتال، والخناجر، والرماح، والسهام، وبحيث تشتهر في الدنيا. وبجانب تلك الصناعات، فبها صناعات النحاس وتستخدم في صنع الأواني، أو الصاغة. وبها أيضاً صناعة الحلى الذهبية والأحجار الكريمة، ولهم فنانون ماهرون في الرسم (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٥، ٥٦).

أما بنايات "بدليس"، فيتحدث أوليا جلبي عن خمسة آلاف بيت عامر وجميل موجودين داخل القلعة العليا والقلعة التي داخل السور. بخلاف البيوت المبنية على المرتفعات ذات الهواء العليل (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥). وبلغ عدد مساجد بدليس ١١٠ مسجداً، فيقول "جلبي": "ويوجد في

بدليس مائة وعشرة محراباً" وأكبرها هو الجامع القديم للسلطان "شرف الدين"، وقباب المسجد وجدرانه قوية، وفيه منارة عالية ومستقيمة ليس لها مثيل في بدليس، ولا في كوردستان كلها، وفقاً لوصف أوليا جلبي. وفي القلعة الشمالية لبدليس يوجد جامع بدليس، وكان كنيسة في السابق، وجعلها السلطان أوحد الله جامع، وهو جامع قديم بدون فناء وبدون منارة. والعديد من الجوامع الأخرى، إلا أن "جلبي" يعلق على جوامع "بدليس" قائلاً: "ومما يزيد جمالاً هو أن جميع هذه الجوامع مفروشة بالبسط العجمية وقطع اللباد الأصفهاني، وتشعل فيها مدافئ كبيرة، وتصرف عليها النقود من أموال الوقف، وتسد نوافذها وأبوابها في الشتاء فتصبح من الداخل دافئة كالحمام، وينكب داخلها العلماء وطلبة العلم، وحتى أن الماء في المرافق وأحواض الوضوء يكون دافئاً. أما طلاب العلم الذين ينهون دروسهم فيلعبون الشطرنج وهو مباح وفق المذهب الشافعي. ووصل عدد مدارس بدليس ٧٠ مدرسة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١١٩- ١٢١).

وفي وصف بساتين "بدليس"، فيقول أوليا جلبي: "أنه وفقاً لسجل المسؤول عن توزيع المياه لدى الخان، فهناك عشرة آلاف بستان في "بدليس"، ويعيش سكان "بدليس" كباراً وصغاراً ووجهاء وفقراء مدة ثمانية أشهر كل سنة في البساتين، ويوجد داخل كل بستان حوض ومياه دافئة ومزراب وبيت جميل، ولقد احتلت تلك البساتين أرضاً واسعة ومتباعدة، والبساتين الجميلة تعود إلى المسيحيين اليعاقبة، وقد أحاطوها بأسوار عالية، وصنعوا فوقها أبراجاً تشبه القلاع، ولهم من البساتين ما تدر عليهم ألف قرش كل عام. وأحياناً يأتي الخان بنفسه إلى هذه البساتين للتنزه. وفي أي وقت ترتاد هذه البيوت الصيفية يأخذك العجب منها، إذ ما أن تدخلها حتى يهب عليك الروائح الطيبة.. . أما الطريق الذي يسمونه (شارع البساتين) فقد زرعت أشجار الكروم على جانبي الطريق، وثبتت على أعمدة من الجانبين مثل العرائش، وتتدلى منها عناقيد العنب بحيث تدخل المسرة إلى قلوب السائرين في ظلالها" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٣٠).

وأما بالنسبة لأسواق "بدليس"، فبلغ عدد دكاكينها جميعاً ألفا ومئتا (٢٢٠٠) دكان. وأكثر أسواق بدليس بهاء هو سوق "خسرو باشا"، ولهذه القيصرية من طرفيها أبواب حديدية، وهي مبيضة من الداخل ومرتبة جداً. ويوجد أيضاً في "بدليس" سوق "الصاغة"، وهو مرتب جداً. كما يوجد أيضاً سوق "الدباغة"، وأن الجلود والألبسة الجلدية التي تصنع في بدليس لا مثيل في الدنيا، وأن النقوش والأصباغ التي تنقش عليها لا مثيل لها في هذه الصنعة. ومن أشهر أسواق "بدليس" أيضاً سوق "العلوة"، والذي يرد إليه الحرير والأقمشة الفاخرة، والمأكولات والمشروبات المختلفة إلى هذا المكان، وتوزن المنتجات بالقبان[٨]، ويؤخذ منها العشر لخاص بالأمير، ثم تباع، ولا يستطيع أحد بيع الأشياء بأكثر من السعر المقرر(جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٢)، ويستدل من هذا الوصف الذي عكسه أوليا جلبي، مدى اهتمام المدن الكوردية بضبط الأسواق والمقاييس منعاً للغش.

**في وصف حمامات كوردستان:**

وأما فيما يتعلق بحمامات ديار بكر، فقد وصفها "أوليا جلبي" بالجميلة والمنعشة، وأولها حمام "إيباريه" وهو حمام منعش. وبعد ذلك يأتي حمام "إيشريك" والذي ليس له مثيل في هذه الدنيا، وذلك بناء على ما وصفه "أوليا جلبي". وكذلك حمام "بهرام باشا" وهو من أهل غزة، وجلب المرمر والزنبوري بالجمال، وجلب البنائين من القدس وغزة لتأسيس هذا الحمام الجميل، ويشبه هذا الحمام حمام الدفتردار في الشام، وحمام "عثمان" في منفلوط بمصر. وتوقد جميع هذه الحمامات بفضلات الحيوانات (الزبل) وتحمى تحت درجة عالية بحيث أن الإنسان لا يستطيع التحمل داخلها أكثر من ساعة. أما المدن الأخرى لبلاد الروم، فتوقد حماماتها بالحطب، فلا تصل إلى هذه الدرجة من الحرارة. ويقول "أوليا جلبي" أن استعمال الفضلات الحيوانية في الحمامات له فائدة أخرى وهو تقليل الفضلات داخل المدينة، علماً بأنه بلاد العرب تستعمل الأزبال في وقود الحمامات أيضاً (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٩).

وفي ملاطية كان يوجد بالمدينة سبعة حمامات جيدة وجميلة، وبخلاف تلك الحمامات، كان يوجد في البيوت حمامات خاصة بعدد (٣٠٠) بيت (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٢، ٢٤). وفي بدليس، فبخلاف الحمامات العامة، فيوجد نحو ستمائة بيت من الأهالي يملكون حماماتهم الخاصة، وذلك لأنهم لا يرغبون في خروج نسائهم إلى الحمامات الخارجية، ويغضبون عند مشاهدة النساء في الأسواق (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٥). ويلاحظ هنا، أن عادات وتقاليد أهالي كوردستان كانت تتسم بالعفة، فالنساء لهم عزلتهم الخاصة في مجتمعهم بعيداً عن الاختلاط، حتى أن السير في الطرقات داخل المدن الكوردية كان بضوابط، كما سيتضح فيما يلي.

كان حمام الحديقة الخاص بخان "بدليس"، مستخدم به زجاج شبابيك من النوع الملون، وكانت أطر الشبابيك محفورة ومنقوشة، وهي مهداة للخان من خانات العجم في تبريز، وهذا التصميم الفني للحمام يدل على الاندماج الحضاري بين المدن الكوردية، وبين الحضارات المجاورة لها، فقد ملئت فسحات أطر الشبابيك بالعنبر الخام، فعندما تهب عليها الرياح تدخل الرائحة الطيبة للداخل.. . وفي وسط (الجامخانة) وهو مكان الاستحمام، ينزل الماء من ثلاثة أمكنة على شكل مزاريب. أما أرضية الحمام فهي مبنية من أحجار المرمر بشكل يشبه الفرش الأميري، وكل قطعة بلون من الألوان، وفي مركز الحوض توجد دفاقة للماء، وتقوم بدفع الماء لأعلى السقف الداخلي ثم ينزل الماء من جديد. وإذا خرجت من قاعة الحمام، وذهبت للطرف الآخر، تذهب إلى غرفة تسمى غرفة التبريد، وهي ذات قبة كبيرة فوقها، والماء الذي في حوضها ومزاريبها الوسطية دافئ، وجميع حيطانها من الكاش الصيني مع إدخال أجزاء صغيرة من المرمر، وآلاف من المشاعل تنزل من الجدران، ومن هذه الحجرة تتوجه إلى غرفة الحمام، وكأنك تدخل

إلى بحر من الأنوار، إذ أعمدة، وفي داخل تلك الأعمدة يوجد البلور والزجاج السميك والقناديل والأنوار، والجزء العلوي منه قطعة واحدة من الزجاج، فعندما تضرب الشمس هذا الزجاج من الأعلى، تصبح الغرفة مضيئة كالنهار. وتحيط الحديقة التي تشبه الجنة بالجزء الخارجي من الحمام، وقاعة الحمام التي تغرد فيه آلاف البلابل والطيور ذوات الأصوات الشجية.... ويوجد في داخل الحمام حوض كبير مليء بالماء وينتشر على سطح الماء أوراق الورود والقرنفل التي تبعث رائحة طيبة في تلك الأنحاء، كما يوجد في داخل كل غرفة من غرف الحمام الصغيرة ماء في أجران من حجر المرمر، وقد صنعت بشكل فني بحيث يرغب المرء في مجرد مشاهدتها، وجميع أنابيب الماء في الحمام والطاسات التي تستعمل في الاستحمام مصنوعة من الذهب والفضة، والهواء الذي داخل الحمام هو عليل وصاف لدرجة أن المرء يشعر بعد جلسة قصيرة هناك بأن الشباب قد عاد مجدداً. وهناك قصائد شعرية كثيرة في موضوع الحمامات قد كتبت بخط جميل على حواشي القبة". ويعق أوليا جلبي على جمال حمام خان بدليس قائلاً: "... فهذا الحسن وهذه الأبهة التي تشاهدها هنا لا مثيل لها. فهذا أنا السائح الذي أقوم بالسياحة لمدة أربعين عاماً، لم أشاهد مثل هذه الأشياء في أي مكان آخر". وعندما قدم السلطان (مراد الرابع) -بعد سيطرته على بغداد من الفرس عام ١٦٣٨م- إلى هذا الحمام للاستحمام، فرأى أن الماء البارد تفوح منه رائحة الورود، أما الحار فتفوح منه رائحة البخور.. ففرح بذلك كثيراً، وقال "ماذا يحدث لو كان في إستانبول خاصتي حمام مثل هذا". أما "ملك أحمد باشا"، والذي كان أوليا جلبي في صحبته، فقد قال عن هذا الحمام "لا وجود لمثل هذا الحمام في كل أرجاء الدنيا" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٤٠- ١٤٣).

وأما حمامات (وان)، فمن أشهرها هو حمام "سلطان" الموجود قرب سوق الجامع، ويصفه "أوليا جلبي" بأنه حمام "منعش وجوه طيب". وكذلك يوجد الحمام المزدوج، والحمام المنقوش قرب مدينة تبريز. ويقول "جلبي" أنه: "حسب التقارير المعتمدة يدخل تلك الحمامات ستمائة شخص في الشهر الواحد".

ومن أمثلة المنشآت المعمارية في كوردستان، الجسور، ومنها جسر "باطمان"، ويقع قبل مدخل "حزو"؛ حيث تندفع المياه من تحته لدرجة أن صوته يملأ أذن الإنسان، ويقع الجسر عند مفرق طرق "ديار بكر"، و"ميافارقين"، و"حزو"، و"بدليس"، و"وان". ولقد قام أحد رجال الخير من العباسيين ببناء هذا الجسر، وصرف عليه ثلاثة آلاف كيس نقود من ماله الخاص، وقد جلب خيرة البنائين من أماكن عديدة لبناء هذا الجسر، وهو أكبر وأعلى وأقوى جسر من بين جسور الأناضول. وفي هذا المكان يكون الجبل في أحد طرفي النهر، بينما تكون الرمال في الطرف الآخر، ولقد رأى البناؤون أن أفضل طريقة هو أن يكون الجسر ذو قائم واحد، وقد حفروا أساسات عميقة وقوية من الطرفين. ويمتد لجسر بين الطرفين في حدود (١٧٣) خطوة. ويقارن "أوليا جلبي" هذا

الجسر مع جسر "موستار" في بلاد الهرسك، ويقول أن جسر "موستار" ذو فسحة واحدة أيضاً، ولكن لا يساوي هذا الجسر أي جسر آخر في جماله واستقامته وقوته. ولقد قام بناءوا جسر "باطمان" بتضييق وسطه كثيراً، كي لا يتم ذقل الأحمال الثقيلة عليه، لذا يخاف الشخص من النظر لأسفل عندما يمر عليه، ولكن أطراف الجسر تكون واسعة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٠٢، ١٠٣). وأما في "بدليس" فيوجد بها (١١) جسر، ووصفها "أوليا جلبي" أنها جسور جميلة ومحكمة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٣- ١٢٤). وكذلك كان يوجد جسر كبير بناه السلطان (حسن) على بعد مسافة خمسة أميال أسفلا ملاطية، وكان ذو (٤٠) قائماً (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٢، ٢٣).

**ثالثاً، التعليم والحياة الثقافية في كوردستان:**

كان التعليم بوجه عام يتم في المساجد، إلا أنه كانت توجد بعض المدارس، فكان يوجد مدرسة لتعليم الصبيان في ملاطية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٨). كما كانت توجد مدارس مخصصة لتعليم الأطفال كما في مدارس الأطفال في وان، فكان يوجد في وان حوالي ٢٠ مدرسة لتعليم الأطفال الحروف الأبجدية، وكان الأطفال الأذكياء يقرأون الفارسية بشكل جيد (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٠). كما كان يوجد مدرس في كل جامع يقوم بتدريس العلوم كما في مدارس الجوامع بديار بكر. ومن أشهر مدارس ديار بكر المدرسة المرجانية بالجامع الكبير، وكان لها أوقاف كثير، وترتب على ذلك أن أصبح لجميع حجراتها أرزاق مخصصة ولحم وشموع (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥١، ٥٢). ويقول "أوليا جلبي" أنه وصل عدد الزوايا في الجامع الكبير إلى ثمانون زاوية لتدريس العلوم فيها (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٤٧). وكانت بعض المدرس ذات تخصصات محددة، ويقول أوليا جلبي على مدرسة جامع النبي، أن طلاب العلم بها كثيرون، وكل من بدأ مراحل العلم فيها لم يصب باليأس في حياته. ويرى الباحث أن هذا الوصف يدل على تخصصات تشبه علم النفس. وكان علم البيان في مدرسة (إيباريه)، وعلم الكلام في مدرسة (جامع خسرو)، وعلم الفقه في مدرسة (ساروليي)، وكان تعليم الصوفية في مدرسة (الشيخ الرومي)، وأما مدرسة التفسير فيتم تدريس تفاسير (الجريري، والطبري، وابن مسعود، وأبو ليث، والبغوي، والقاضي، والدليمي، وفيض الله الهندي، وأبو سعود). وأما علوم الحديث فكانت تتم في كافة الجوامع، ولكن كان يتميز في عصر أوليا جلبي إمام الجامع الكبير، والذي كان يشتهر بالإمام المجنون، والذي كان قد درس علم الحديث في الجامع الأزهر بمصر (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥١، ٥٢).

وفي (وان) كان يوجد بها مدارس عديدة ومنها، مدرسة جامع (أولو)، ومدرسة (خورخوره)، ومدرسة (خسرو باشا)، ومدرسة (بوابة تبريز)، ومدرسة (عباس أغا)، ومدرسة (كيا جلبي) (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٠). ولقد اشترت (وان) بعلمائها وخاصة في الطب، ويصف أوليا جلبي أطباء "وان" بأنهم ذو ذكاء شديد، ومنهم (مسعود جلبي) في القلب ومعرفة النبض وهو لا مثيل له

في ذلك، ويصف الطبيب (الشيخ باي جلبي) بأنه لا مثيل له حتى في أثينا، واشتهرت (وان) أيضاً بجراحيها. وأما في (ملاطية) فيصف الرحالة أوليا جلبي مدى التقدم في الطب الذي وصلت إليه ملاطية؛ فهي مهنة أباءهم وأجدادهم، وهم ماهرون بها لدرجة أنه لا مثيل لهم بين الأمان والقرم. وكان في وقت الدراسة توجد سبعة دكاكين لعمليات الجراحة، وكان الأسطى (بشارت) الكوردي هو أكثرهم خبرة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٧).

وأما بالنسبة للحياة الثقافية في كوردستان، وكان أهالي ملاطية متدينون؛ فهوم يصلون ليلاً ويصومون نهاراً (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٧)، وبجانب تدينهم، كان الناس في "ملاطية" يجتمعون في رياضها جماعات يتحدثون عن العلم ويقرأون الشعر ويروون القصص، وكان يوجد جماعات يتحدثون عن الأئمة ويروون سيرهم. وكان بعض الظرفاء يقومون بسرد النكات، وتقليد الناس (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٨، ٢٩).

وما يدل على ازدهار الحياة الثقافية في (ملاطية) أن "الجميلات قد اعتدن على كتابة بيت من الشعر أو شيء من الكلام المأثور على جوانب التفاحات قبل نضوجها وذلك بخيط من الشمع، وما أن تنضج التفاحات وتأخذ ألوانها الزاهية، تقمن بنزع الخيط الشمعي عنها فيبقى محل الخيط أبيض اللون، ويظهر الخط الأبيض الجميل للكتابة" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٧، ٢٨). ويرى الباحث، أنه إن دل هذا الوصف على شيء، فإنما يدل على تعليم النساء في كوردستان، فكيف لهم كتابة أبيات الشعر، إلا لكونهم متعلمات.

وأما شعراء (وان) فكان الشخص الأول هناك هو "شايفي أفندي" ويصفه "أوليا جلبي" بأنه (سلطان الشعراء الذي هو عريق في بحر العلم). وكذلك الشاعر (واني جاب)، والشاعر (مير سبهري) (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٤). وأما بالنسبة لشعراء أهل (ديار بكر) فقد وصفهم أوليا جلبي بأنهم "ضليعين، ذو لسان ذرب، بحيث يمكن اعتبار كل واحد منهم (فضولي) أو (روحي زمانه) (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٦، ٥٧).

**رابعاً، العادات والتقاليد في كوردستان:**

كانت تركيبة سكان كوردستان مختلطة، فكان سكان "ديار بكر" على سبيل المثال خليط من الكورد، والتركمان، والعرب، والعجم، والأرمن. وكان سكان "ديار بكر" يتصفون بالحسن والجمال، وكان الناس يتحدثون بالكردية، والتركية، والعربية، والأرمينية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٧٢). وكان سكان ملاطية يتحدثون بالكوردية، والتركمانية، وكان للتركمان لهجة خاصة بحيث لا يفهمها الأتراك بشكل جيد (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٢، ٢٤). وكان سن زواج النساء هو عشر سنوات، وهي عادة القومية الكردية حينئذ كما يتحدث أوليا جلبي. وبوجه عام فإن نساء كوردستان كانوا يتسمون بالعفة، فيقول أوليا جلبي في وصف نساء ديار بكر، أما نسائهم فيتصفن بالأدب والأخلاق

الحميدة، وأن بناتهم لا يتوا جدن بالأسواق، ولو سارت أحدهم في السوق، فكان يوجه اللوم لها ولوالدها (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٧٢). كما كانوا يبنون حمامات خاصة في ديار بكر وصل عددها (١٤٠) حماماً، وذلك لأنه كان يمنع نسائها الخروج من المنازل (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٧، ٥٨). ولم تكن تلك عادات "ديار بكر" وحدها، فكان أهالي (وان) متعصبون وأصحاب غيرة، وكانت نساؤهم لا تذهب للنزهات أو حفلات العرس أو الضيافات. وكانت أكثر بيوت (وان) بها حمامات خاصة بالنساء، وكان من عادات أهالي (وان) لا يتوجه رجال وان للحمامات فترات بعد الظهر، فكانت تلك الفترة مخصصة للنساء اللاتي لا يوجد في بيوتهن حمامات، وكان هناك طرق خاصة تسلكها النساء حينما يردن التوجه إلى الحمام، ولا يجوز أن يسير الرجال في تلك الطرق في تلك الأوقات، وإلا تعرض الرجال لعقوبة قاسية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٣). وكان أمر الغيرة على النساء من عادات أهالي (ملاطية) أيضاً، فعندما يتحدث أوليا جلبي عن صفات ملبس نساء ملاطية، فقال: "والذي سمعته من الأصدقاء، أن النساء هنا تلبسن الملابس البيضاء وتضعن الحجاب، كما تضعن الطاقيات الذهبية والفضية على رؤوسهن وملابسهن المصنوعة من الحرير بالكامل"، كما كان "بملاطية" وقت زيارة "أوليا جلبي" سبعة حمامات عامة، وأما بالنسبة للحمامات الخاصة، فوصل عدده نحو ٣٠٠ حمام في البيوت (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٧٢). ومعنى هذا أن "أوليا جلبي" لم يتمكن من رؤية أي أحد من نساء أهل (ملاطية) وذلك لتعفف النساء، ولغيرة الرجال.

وأما بالنسبة لملابس أهالي كوردستان، فكانت نساء "ديار بكر" تتغطى جميعاً بالشراشف البيضاء، وتضعن الحجاب على الوجه، وتعتمرن الطاقيات ذوات الخيوط الذهبية أو الفضية وتلبسن الجزمات، وكانوا ذوات حلى ذهبية وفضية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٧، ٢٨). وأما بالنسبة لأزياء الرجال في "ديار بكر"، فكانوا يلبسون أذصاف عباءات ثمينة تصنع من الجلود، وكان كبار الرجالات والقادة يضعونها على أكتافهم. وأما متوسطو الحال فكانوا يرتدون الجوخ، ونوع آخر من الأقمشة اسمه (الكنتوش). وأما فقراء الحال، فكانوا يرتدون الجوخ اللندني (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٧، ٢٨).

وفي ملاطية، فكان الأغنياء يلبسون جلود السنور، والصوف. وفقراء الحال يلبسون الشال والشابك. ومتوسطو الحال يلبسون الجوخ وخامات ملاطية، ويلبسون الزبون الأزرق. أما نساء الأغنياء، فيضعن الحجاب المذمنم ويغطين رؤوسهم بالوشاح، أما نساء الفقراء فيضعن الوشاح الأبيض والحجاب والطاقية، وجميعهن تلبسن الأحذية الصفراء والحمراء. وأما في بدليس، فكان ينتشر لبس سترات السنور بين الوجهاء وأفراد الحاشية والخان، وأما متوسطو الحال فيلبسون (الشياق)، وكثير منهم يلبسون الجوخ السنوري والقنطوش. أما ملابس الفقراء منهم فهي من نوع

بوغوص. وكانت النساء تلبسن الملابس البيضاء وتضعن الحجاب، كما تضعن الطاقيات الذهبية والفضية على رؤوسهن وملابسهن المصنوعة من الحرير بالكامل (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٧٢).

وأما بالنسبة لملابس أهل "وان"، فكان يلبس معظمهم (الجوخ)، ويضعون الأحذية (السرمدية) في أرجلهم، ويضعون جلود السنور على أكتافهم، ويتمنطقون حزاماً خفيفاً من الحرير ويضعون فيه خنجراً، وكانوا يضعون عمامات قطيفة على رؤوسهم كبيرة جداً. وكانت النساء ترتدين (الجزمات) الصفراء في أرجلهن، وتلبسن (المخشلات) الذهبية والفضية في أعناقهن (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٥).

ومن عادات أهالي كوردستان خلال تلك الفترة الزمنية، الاحتفال بيوم (نوروز)، فيقول أوليا جلبي في هذا الشأن وفي خضم حديثه عن أهالي وان: "أما في كوردستان، فتشتهر جواميس (وان) بضخامة الجسم، وبالسمنة والهيبة، بحيث يأكل الجاموس الواحد بقدر فيل، ولو تمت تربيتها لمدة عام فسيزيد حجمها عن حجم الفيل، ويقوم أهالي (وان) في يوم (**نوروز**) بإخراج هذه الجواميس والخيول الأصيلة، والجمال، والكباش من حظائرها، ويجعلونها تتقاتل مع بعضها، ويقضون وقتهم في التمتع بها، والتفرج عليها" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤٨).

وفيما يتعلق بصفات أهل كوردستان، فكان للطبيعة تأثير كبير على صفات وهيئة أهالي كوردستان، فنظراً لصفاء الطبيعة في "ديار بكر"، فكان معظم سكانها متوسطو القامة أقوياء، ويميلون إلى السمنة، ورشيقون، وكانت تصل أعمارهم إلى السبعين أو الثمانين ولا يزالون قادرين على العمل، وكان يصل بعضهم إلى المائة عام (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٥٦، ٥٧). وأما وجوه أهالي (ملاطية)، وبسبب اعتدال المناخ وانتعاشه، فرجالهم أقوياء الجسد، مربوعة القامة، وتصل أعمارهم إلى ٦٠ أو ٧٠ عاماً دون أن تسقط أسنانهم، وتبقى نضارة وجوههم واحمرارها على حالها حتى بعد تقدمهم في العمر، وهم أقوياء وضخام الأجسام، وبسبب هذا المناخ الجيد فالأهالي جميلون ومهيبون. وأما بالنسبة لأهل (بدليس) فكان يوجد بها الكثير من الرجال المعمرين، بحيث يظن المرء أنهم لا يقدرون على الكلام، ولكنهم يستطيعون ركوب الخيل، والضرب بالسيف، والذهاب إلى السفر والتجارة، لا وبل الصيد. والعمر الاعتيادي لهم يكون بين الستين والخامسة والسبعون، وأما المعمرون فتصل أعمارهم مائة عام، بينما تكون وجوههم نضرة، وحمراء، وبيضاء. وهم ذو صحة جيدة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٢٣، ١٢٤). ومعنى هذا، ومن خلال وصف "أوليا جلبي"، فإنه يتضح أن طبيعة الحياة في كوردستان كانت منظمة، كما أن العوامل الطبيعية، وصفاء الجو، كان له انعكاس وتأثير على صحة أهالي كوردستان.

**خامساً، الزراعة والحرف والصناعات في كوردستان:**

تميزت كوردستان بوفرة محاصيلها، من حبوب وفواكه وخضروات، فكان يتم زراعة سبعة أنواع من القمح ذوي الحبوب الخشنة، وكذلك الشعير والباقلاء، في ديار بكر، والتي تميزت بخصوبة أراضيها وسعتها، فكانت مزارعها وافرة المحاصيل (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٦٩). وزرعت أنواع القمح أيضاً، والشعير والقطن ومختلف الحبوب، والخضروات والبصل والسبانخ في ملاطية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤). وأما بالنسبة لزراعة الفواكه في كوردستان، فكان بها أنواع متعددة من المشمش، والعرموط، والسفرجل، وعشرون نوعاً من التفاح، والعنب، وذلك في ملاطية. كما أن البطيخ في ديار بكر قد وصفه أوليا جلبي بأنه لا مثيل له في اللذة والحلاوة (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٧٠). ولقد تميزت مدن كوردستان بكثرة بساتينها، ففي ملاطية وحدها وجد سبعة آلاف وثمانمائة بستان، وستمائة بستان محاطة بسياج (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥).

وأما بالنسبة للصناعة في كوردستان، فكان يوجد بها صناعات غذائية، ففي ملاطية كانت صناعات العسل الأبيض، والذي وصفه أوليا جلبي بأنه لا مثيل له في الدنيا، وكان في كل سنة تملأ منه مئات الألوف من القرب الحمراء من العسل الصافي وترسل إلى كبار رجالات استانبول. كما كان يتم صناعة مربى العسل ومربى السفرجل. بجانب صناعات حفظ العنب للشتاء، وصناعة الدبس (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٤، ٢٧). ومن مأكولات كوردستان، الخبز الأبيض، والمعجنات مع القشطة، خبز الموز، والعسل، والمن وهي حلوى ربانية تنزل من السماء على أوراق الشجر. ومن الصناعات الأخرى في كوردستان، صناعة الجلود الحمراء والملونة، وأنواع الخفاف والأحذية، بجانب صناعات السيوف والمسدسات والخناجر والسكاكين (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٦٩). ويتضح مما سبق أن سكان كوردستان كانوا يعملون في الزراعة، وصناعة المواد الغذائية، بجانب لعمل في التجارة، كما يعمل بعضهم في الوظائف الحكومية.

**المبحث الثاني:**

**بعض مظاهر العلاقات السياسية بين أمراء الأكراد والعثمانيين، الهجوم على بدليس نموذجاً:**

**أولاً: مقدمات الهجوم على بدليس:**

خلال زيارة "أوليا جلبي" إلى "بدليس" برفقة سيده "ملك أحمد باشا"، تحدث "جلبي" بكل احترام ووقار عن "عبدال خان"، وعن حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، ووصف ذلك بأوصاف في غاية الروعة. وقبل انصراف "ملك أحمد باشا" من بدليس عائداً إلى وان، انفرد مع "عبدال خان" ليتحدث معه ويقدم له النصح والإرشاد، ولقد انتقده عن أفعال سابقة قام بها "عبدال خان"، ومن تلك الأفعال أنه عندما استولى "مراد خان" على بغداد عام ١٦٣٨م وعاد إلى ديار بكر، لم يذهب

"عبدال خان" لرؤيته وتبريك غزوته، وكان السلطان قد غضب كثيراً، وطلب من "ملك أحمد باشا" أن يأخذ بالثأر من "عبدال خان" البدليسي. ويقول "ملك أحمد باشا" أنه حسب أوامر "مراد خان" قد جمع الجيوش، وتوجه إلى قلعة "ميا فارقين"، ولكن وجهاء المنطقة قد تدخلوا بينهم، ودفعوا (٧٠) كيس نقود وأشياء أخرى، وتم غض النظر عنه. ولقد طلب "ملك أحمد باشا" منه أن يكون على علاقة جيدة مع بكوات العشائر المجاورة له، وأن يعيش معها بسلام، وأن يؤدي الواجبات الملقاة عليه تجاه السلطان، وإلا فإنه "سيعرف الضرر" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ١٦٤- ١٦٧).

**الدعوة للهجوم على "عبدال خان":**

لقد تطورت الأحداث سريعاً بعد لقاء "ملك أحمد باشا" مع "عبدال خان"، ويتحدث "أوليا جلبي" عن مؤامرة التخلص من خان بدليس بمرارة، فوصف من ذموا خان بدليس لدى "ملك أحمد باشا" بأنهم "ناس غداروون"، وأنهم تحدثوا بالكذب عن الخان، وأن خان "بدليس" لم يكن يعلم بما تضمره أنفسهم تجاهه. ويبدو أن "أوليا جلبي" كان مقتنعاً ومتعلقاً بـ "عبدال خان"، فعلى الرغم من عداوة سيده "ملك أحمد باشا"، إلا أن "أوليا جلبي" كان متزناً في رأيه تجاه خان بدليس، حيث أنه يرى أن خان بدليس برئ من التهم المنسوبة إليه، وأن سبب الفوضى هم أغوات "وان"، وبك "ملازكرد"، وبعض الإنكشارية (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٢). فيتحدث "أوليا جلبي" ويصف بدايات الدعوة للتخلص من خان بدليس، **قائلاً**: "إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، في ذلك اليوم كان الباشا مدعواً من قبل (عبدي أغا) قائد الإنكشارية، وكان جميع الوجهاء وأغوات (وان) والبكوات الكورد مجتمعين هناك سوياً، فأخذ الباشا رأي هؤلاء، فاشتكى الجميع بشدة من (الخان) وقالوا (يجب إزالته، وهو ملحد، فاسق، فاجر، لوطي، منجم، وكذاب، يستحق إهدار دم منذ أربعين عاماً) وتكلم أولئك الناس الغداروون، بكل تلك الأكاذيب عن الخان، وهو لم يكن على علم بكل ذلك، وحسب إرادة الله، انتهى أولئك الناس من كلامهم، فدخل البواب وقال: (يا سيدي لقد وصلت رسالة من والي أرضروم، طاوقجي مصطفى باشا، وهناك مع الرسالة بضعة رجال جرحى من الانكشارية وصلوا أيضاً)، فقال الباشا، أدخلهم إلى الداخل بسرعة، فدخل صاحب الرسالة وسلم على الحاضرين وسلم للباشا رسالة والي أرضروم، وكان قد كتب فيها ما يلي: (يا سيدي، يوجد تحت سلطة حكومتكم شقي من الأشقياء يدعى خان بدليس، لقد قام في الليل بالهجوم بعشرة آلاف مقاتل، على أملاك "محمد بك ملازكرد" الذي هو تابع لإيالتي، فقام بنهبهم، وقتل منهم حوالي ثلاثمائة مسلم بدون حق، كما ذهب وبلغ أربعين ألف رأس من الغنم لد (شقاقي) (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٣)، وهذا الرجل موجود ضمن دائرة سلطتكم، وبدون شك أنتم تقدرون عليه وعلى رد هذا الظلم. .... فلو رغبتم في توجيه الجيش لهذا الشقي وقاطع الطريق، فإنني سأشترك معكم بعشرين ألف مقاتل، وأنا أنتظر أمركم). ففرح الجالسون مع الباشا بورود هذا الخبر وبدأوا

بالرقص" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٢، ٢٥٣). لقد كانت الشكوى هي أن انكشارية أرضروم، وهم حراس الحدود، ويعملون بالتجارة أيضاً، وعندما وصلت أحمالهم إلى (بدليس) قاموا بأخذ الضرائب منهم، وأنهم اشتكوا من أن عدداً غفيراً من الكورد كانوا قد تجمعوا وألفوا جيشاً للهجوم على (محمد بك ملازكرد)، وتم الادعاء بأن هؤلاء الكورد قد رموا بأحمال الانكشارية، وأخذوا الدواب جميعاً على سبيل (السخرة)، ولقد توجه هؤلاء الجنود للخان وذلك وفقاً لروايتهم التي يذكرها أوليا جلبي- واستنجدوا به، ولكن فعل بهم التحقير والتذليل. وبذلك أصبحت التهمة التي وجهت إلى الخان "عبدال خان" هي قطع الطريق، وتجاوز حدود بلده وعبر إلى أرضروم، وقتل عدة مئات من الناس. وبناء على تلك التهمة، طلب "ملك أحمد باشا" إصدار فتوى من شيوخ الإسلام للمذاهب الأربعة، فكتبوها له، كما قام رجل الدين في (وان) بإصدار الفتوى الشرعية كتابة، وقام بختمها، ووضعها في أيدي الباشا، وقال للباشا: "أيها الزعيم، لتكن غزوتك مباركة، فاسحب سيف الغيرة، ونظف الأرض من هذا الشقي"، وقام بالدعاء للباشا، والثناء عليه (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٣، ٢٥٤). ومن هذا الوصف الذي يسوقه أوليا جلبي، وبناء على وصفه أيضاً، فإنه يتبين وجود مؤامرة ضد "عبدال خان"؛ حيث تجمع الخصوم جميعهم في وقت واحد، والغريب في الأمر أن الخصوم كانوا من الأكراد، وإن دل هذا الأمر إلى شيء فإنما يدل على روح الفرقة لتي كان يبثها العثمانيون بين زعماء الأكراد، وهو الأمر الذي سيتبين ملامحه فيما يلي.

ويصف أوليا جلبي سيده بالشخص العادل؛ حيث أصر على محاكمة "عبدال خان" محاكمة شرعية قبل التوجه لقتاله، وذلك بدعوته للحضور إلى "وان" مع "محمد بك ملازكرد" وبقية المشتكين، وفي حالة رفض الحضور، فحينها يتم إرسال الجيوش عليه، وعلى الرغم من رفض أعداء الخان، إلا أن الباشا أصر على موقفه، وانفض المجلس بعد ذلك (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٤).

وفي القلعة الداخلية لـ "وان" تم استدعاء جميع الأمراء والأعيان، وقالوا لنكتب رسالة إلى خان "بدليس"، فقام "أوليا جلبي" بكتابتها، وجاء فيها: "<u>يا أحقر شخص في الدولة العثمانية</u>، أيها الشخص الذي يسمى (عبدال خان)، يا قاطع الطريق الضل والأحمق، أنت لا تعرف الخجل، وقد فقدت الشرف، إنك تكذب وتدعي أنك من نسل (**السلطان أوحد الله العباسي**)، فتحتال وتغتر بذلك، ولكنك لعنة الله عليك، تختلط مع أهل الفتنة والفساد من الملحدين والرافضية والكورد اليزيدية، .... إن كل ما كنت قد قمت به، عندما كنت والياً لأرضروم، صفحت عنك وقلت مضى ما مضى، ولكنك لم تصلح نفسك رغم بلوغك هذا العمر، فتقوم باسم فرض الضرائب على المارة وعلى التجار، وتقوم بنهبهم وتأخذ الدواب من الناس، وتدخل أراضي (أرضروم)، وتقوم بنهب أربعين ألف رأس من الغنم من (محمد بك ملازكرد)، وتنهب الناس على أراضيه، وتقتل منهم ثلاثمائة شخص. ولقد قمت بجمع كل (اليزيديين والجكوانيين والخالتيين والروزكيين) حولك، وكل

شخص يمر من جاذبك تقوم بنهبه وتقطع ل أطرافه، فأصبحت قاطعاً للطريق ومتجاوزاً على جميع الأطراف. حتى أن رجال الدين الموجودين لديك، عندما يقومون بنصيحتك ويقولون لك لماذا تفعل هذا؟ فتجيبهم قائلاً (هذه كوردستان، ولكي يبقى الخوف بينهم، فإن هذا النهب هو شيء من قانون العباسيين). فعهد علي أن أقوم بتأديبك تحت حكم الدولة العثمانية بشكل، بحيث يصبح ذلك التأديب مثل الحلقات في أذنيك، .... لذا إذا وصلتك رسالتي هذه، لا تبق ساكناً، بل توجه أنت وقوادك لخدمة السلطان العثماني، وسلم الأموال والمواشي التي نهبتها إلى أصحابها، واحضر في (تحت وان) للمحاكمة، فوالله وبالله لن يمسك أحد. فيجب أن تتوجه إلى هناك، وإذا لم تحضر، فسيلحق الضرر بك وسيتم نهب بلادك وسيمحى اسمك...." (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٦-٢٥٨).

وعندما وصلت رسالة الباشا إلى الخان، غضب الخان، **وينقل "أوليا جلبي" قائلاً في ذلك**: "وقد قرأت تلك الرسالة في مجلس (الخان)، فغضب الخان وقال (تباً... هل نحن مذنبون لتلك الدرجة حتى يتوجب قتلنا وينهبون بلادنا، وأن يرسلوا لنا كل هذا العتاب والتوبيخ؟ إنه أمر الله، يجب أن تكون اليدان في خدمة الرأس![٩] قال هذا ثم أتكأ للحائط أمام أعين الرسول". وعلى الرغم من مظاهر إبداء الضعف أمام رسالة الباشا، فيستكمل أوليا جلبي تصرفات الخان بعد الرسالة، قائلاً عن الخان: "ولكنه أرسل رسائل عاجلة خفية، إلى بكوات الكورد وطلب منهم المساعدة، ومن جهة أخرى، فتح خزينة شرفخان على مصراعيها، وجهز سبعة عشر ألفاً من المقاتلين بالبنادق وبدأ بتعمير وتجديد القلاع والخنادق والمتاريس، وعين عشرة آلاف شخص للدوريات والحراسة خوف الهجوم الليلي من طرف الباشا، كما حضر من طرف أصدقاءه الكورد سبعة عشر ألفاً من حملة البنادق مع عشرة آلاف مقاتل من الفرس، وقام بتهيئة نفسه للقتال، ثم قام بإرسال رسالة إلى الباشا، تلك الرسالة التي تتساقط منها الدرر" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٦- ٢٥٨).

يتضح من وصف "أوليا جلبي" لتصرفات الخان، وكأنه يريد أن يقول أن تصرفه منطقي في تجهيز المقاتلين وتأمين بدليس ويبرر ذلك بـ (خشية الهجوم الليلي)، كما أنه وفي موضع آخر يصف رسالة الخان إلى الباشا، بـ"تلك الرسالة التي تتساقط منها الدرر". وكأنه يريد أن يقول أن الخان لم يكن عاقاً للباشا ولكنه كان تحت طوعه.

وأما بالنسبة للرسالة التي أرسلها عبدال خان إلى باشا (وان)، فجاء فيها: "قبل كل شيء أشكر الخالق الذي لا مثيل له، والذي أعطى الإنسان العقل التام، وجعله أشرف وأعلى المخلوقات والذي اختاره لمعرفة الخير والشر ومعرفة نفعه وضره، ولكيلا يندخدع بأكاذيب المفسدين والحاسدين والماكرين والمحتالين، فإن الذين يحكمون الناس وتكون شؤونهم في أيديهم، يجب إجراء هذه الأمور بعدالة وحيادية وبدون مراعاة مكاسبهم الخاصة، وعدم أخذ آراء أولئك الناس الذين

ذكرناهم. فهل يصح هذا، بانني ليس لدي ذنب بقدر ذرة واحدة، فتقوم أنت وحسب سوء الظن بجمع هذا البحر من الجيوش، وتريد الهجوم علي؟ ألا تصبح مسؤولاً عن هذا كله في يوم الحشر؟ تريد أن تتعرض مدينة بدليس وهي من الممالك العثمانية للهجوم والنهب والسلب، وأن تحطم أطفال الكورد تحت أقدام الظلم والقمع، فكيف ستجيب السلطان حول ذلك؟ فعندما كنت ضيفاً في بيتي، ووعدتني بكل هذه الوعود الجميلة وكلمتني بهذا الكلام الطيب، فكيف نسيت كل ذلك بهذه السرعة، ألم يقولوا (أن الكريم إذا وعد وفى؟) ففي ذلك اليوم الذي قلت لي (يا أخي الخان، إن شاء الله سأضيف سنجق "موش" على أملاكك في بدليس، وسأرد لك كل محاسنك) ... . إن الأكراد يتوجهون في فصل الصيف إلى مصيف (ملاز كرد)، و يذهب رجالنا لإحصاء رؤوس أغنامهم، وحسب القانون السلطاني يأخذون منهم ضريبة الغنم، ولكن (محمد بك) جلب معه جيشاً ووضع أصحاب الأغنام الكورد تحت رعايته ومنعهم من دفع ضريبة الغنم، وفي تلك المواجهة، حدث قتال بين الطرفين وقضى بضعة أشخاص نحبهم في القتال، وحول ذلك الموضوع استحصلنا الفتوى من المذاب الأربعة والفتاوى موجودة لدينا.. أما رجال الإنكشارية، فأردنا أخذ الضريبة الأميرية من أقمشتهم، ولكنهم امتنعوا عن دفع الضريبة، وهجموا بشكل فوضوي على حدائقي وقاموا بتجريح عدد من رجالي، وأن هذه المشكلة مكتوبة في السجل الشرعي الذي أرسلنا لكم مع الرسول. فإذا كان هؤلاء قد أتوا بالإضافة إلى أفعالهم غير القانونية، وقد نسجوا بعض الأكاذيب والأباطيل عني، وأنت تقوم بإرسال كل هذه الكلمات البذيئة لي، ولكن رغم إنني لا أرى أي ذنب لي، فإنني أطلب منكم اعتبار هذه الرسالة، رسالة توبة وندم من الذنب كمن لا ذنب له)، لأن صداقتنا ومحبتنا السابقة كثيرة، **<u>وأنتم وزير لخليفة رسول رب العالمين، (وخلفائه الراشدين المرشدين من بعده ووزراءه في عهده)</u>** ومن المفروض فيكم مساندة طرف العدالة، وأن لا تنسوا وعودكم وأقوالكم السابقة. إنني أحلفكم برسول الله وخلفائه الأربعة وبرأس سلطانكم العظيم أن لا تهينوني بين الأقران وأن لا تكسروني، وها أنا أرسل لكم هذه الرسالة مع (زينل أغا) العائد لي لخدمتكم، وما ترونه مناسباً لإجراء الصلح مع المشتكين، أرجو أن تساعدوني في ذلك، أدعو لكم بالسلامة" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٥٩- ٢٦١).

لقد تبين للباشا من رسالة الخان أن "محمد بك ملازكرد" لم يدفع ضريبة رعي لغنم للخان، بل وهو من بادر بمهاجمته. كما تبين له أيضاً أن الإنكشارية قد قاموا بشكل فوضوي بالهجوم على (مضيف) الخان، وكان من حقه أن يرد عليهم. وكان سؤال الباشا والذي وجهه إلى "زنيل أغا"، عن عدم حضور عبدال خان لديه لإجراء المحاكمة الشرعية؟ فكان رد "زنيل أغا" أن الخان قد تأثر كثيراً، ويرجو إجراء الصلح بينه وبين الإنكشارية، وأن الخان قد أرسله "زنيل أغا" نيابة عنه، ولخدمة الباشا في هذا الغرض. إلا أن وجهاء (وان) لم يرتضوا هذا الحديث، ووصفوا

عبدال خان بالمخادع، وأن سوف يقوم بتدمير بيوتهم كما فعل مع "محمد بك ملازكرد"، وأضافوا أنه سيفعل في وقت الضيق ما فعله جده (شرفخان) عندما فر إلى بلاد العجم، **"وذلك لأن هؤلاء هم أعداء العائلة العثمانية منذ القدم"**. ووجد هؤلاء الوجهاء أنه ما دام وقد تجمع هذا الجيش، وسنحت له الفرصة فلنبادر بالهجوم والقضاء عليه. ولقد أطالوا في هذا الحديث، إلى أن قرر الباشا الهجوم على بدليس (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٦١، ٢٦٢). ويتضح من هذا الموقف أن الهجوم على بدليس ليس من أجل إعلاء كلمة الحق، ولكنه تربص بالخان، لأشياء تضمرها أنفسهم تجاه الخان، وما دامت الفرصة قد سنحت للهجوم على الخان، فمن وجهة نظرهم أنه لا يجب تضيعها.

**وهناك مسألة لا يجب إغفالها**، فيرى الباحث أنه بتحليل ما ورد برسالة "ملك أحمد باشا" إلى "عبدال خان" أنه يقول في أحد المواضع نقلاً عن "عبدال خان"، قائلاً: **"وإنك تدعي أنك من نسل السلطان أوحد الله العباسي"**، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على نسب "عبدال خان" إلى سلاطين العباسيين. ومن خلال استقراء نص رسالة "عبدال خان" إلى "ملك أحمد باشا" فإنه يقول له: "**وأنتم وزير لخليفة رسول رب العالمين، (وخلفائه الراشدين المرشدين من بعده ووزراءه في عهده)**" ويلاحظ أنه تم وصف السلطان العثماني بخليفة المسلمين من جاب خان بدليس، والذي هو من نسل الخليفة العباسي، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل استخدام السلاطين العثمانيين لهذا اللقب، وليس كما يشاع أن هذا اللقب استخدم فقط في أوقات ضعف الدولة العثمانية. فهذه الرسالة تحسم الجدل الدائر حول انتقال الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين في أعقاب سيطرة سليم الأول على مصر عام ١٥١٧م.

**الهجوم على بدليس:**

قام الباشا بالتحرك بمعية ستة آلاف من العساكر (المحمودية) المنتخبة، وهم من الأكراد الذين يمتازوا بالقوة الجسدية، ووصل إلى قرية (جاي باشي) ونصب الخيام، واتخذ له مقراً هناك. ولقد نودي داخل المدينة بأن كل من يستطيع حمل السلاح، فعليه أن يتوجه إلى هناك، كما أرسل الرسائل إلى (٧٠) من بكوات السناجق وأمراء الجيش، ثم أرسل رسالتين خاصتين بيد الأغوات؛ حيث أرسل أحدهما بيد (أحمد أغا أرغنيلي) إلى والي أرضروم "طاوقجي مصطفى باشا" لإرسال نخبة قواته العسكرية. وأرسل الرسالة الأخرى إلى والي ديار بكر الباشا " فراري مصطفى باشا" لكي يأتي مع قواته العسكرية المنتخبة. وبدأت بذلك أمواج قوات الجيش تتدفق يوماً بعد يوم وتتجمع أمام قلعة (وان) (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٦٣).

وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من جيش "ملك أحمد باشا" هم من الأكراد، إلا أن ما ذكره "أوليا جلبي" حينما قام الباشا وجمع حوله أغوات "وان" قبل القتال، وقال لهم: " يا أبنائي الأغوات، إنني أعلم بأنكم قد وعدتم بالتضحية بدمائكم من أجل الدولة، وقد

خضتم حتى الآن عدة معارك بشجاعة، ولكن لأقل لكم، فلنفرض أن الكورد الذين هم معنا، انقلبوا جميعاً ضدنا، ورفعوا سيوفهم بوجهنا وهاجمونا معاً، وقمت أنا بمناداتكم (هيا يا أبناء قومي الغزاة) فماذا ستفعلون أنتم؟.. فقال الأغوات (أيها الوزير سنقدم رؤوسنا وأرواحنا إلى أن نصبح جميعاً فداء للدولة، وإلى أن نقتل سنقاتل)، وبهذه الكلمة، قرأ الباشا سورة الفاتحة ومسح وجهه بكفيه (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٨٢). وهذا الموقف وإن دل على شيء فإنما يدل على عدم ثقة الباشا في الأكراد بوجه عام، ويلاحظ كذلك أنه لم يجمع أحد من قادة الكورد والمفترض على الأقل أن منهم أهل ثقة، فعل سبيل المثال "محمد بك ملازكورد" وهو العدو اللدود لخان بدليس، إلا أنه لم يكن من بين الخاصة التي اختصها الباشا وانفرد بهم وقرأ معهم الفاتحة، وهو ما يعني أن الباشا لم يكن يثق بالأكراد بوجه عام، وأنه استخدمهم لهدف محدد وهو التخلص من خان بدليس.

**المعركة الحامية وهزيمة الخان:**

وصف الرحالة أوليا جلبي قوام الجيش الذي قام بمهاجمة بدليس، وأوضح أنه في الرابع والعشرون من شهر رمضان لعام ١٠٦٥هـ، حضر القادة إلى خيمة الباشا، وقاموا بالدعاء له، فوجه كل منهم إلى المكان المخصص له، وكان حملة البنادق قد ذهبوا ليلاً إلى الكمائن التي خصصت لهم، وفي قلب الجيش، مع الباشا كان قد بقي ثمانية آلاف من الانكشارية، وأصحاب الطبول، والصكبانية، والساريجة، والمشاة المسلحون من (وان)، ثم ثمانية آلاف من العسكر المنتخب مع (بك محمودي) للميمنة، وستة آلاف مع (بك ملازكرد) للميسرة، وستة آلاف مع (شرف بك البايزيدي) في وسط الجيش، أما بكوات كل من (أرجيش، عاد لجواز، موش، تكمان، قورو جان، باسين، عونيك، وخنس) فتوجهوا إلى الجانب الأيمن، كما توجه بكوات كل من (كارني، هيزون، سعرد، مكس، شروي، وكسان) إلى الجانب الأيسر، أما عساكر (هكاري) البالغة ١٢ ألف مقاتل، فشكلوا طليعة الجيش بصفة (جرخجي) وكانوا يسيرون أمام علم الباشا، أما القادة الكورد الآخرون مع عشرة آلاف مقاتل، بالإضافة إلى رجال الخدمات، مثل سائسي الخيول والسراجين والعاكمين وحاملي المشاعل ونافخي الطباخين، فشكلوا جميعاً مؤخرة الجيش، كما صدر أمر بتعيين القوريات، فوقف رجال الجناح الأيمن لجيش (وان) في الجناح الأيمن للباشا، ورجال الجناح الأيسر في يساره، أما المشاة من قلعة (وان) ومشاة القلاع الأخرى، مع قوات المشاة التابعة لـ (هكاري)، وكذلك المقاتلين التابعين للثغور وهم ستة أفواج من الانكشارية، والمقاتلين من لابسي الجبب ورجال المدفعية الذين يشكلون جميعاً ١٢ ألف مقاتل من المشاة والذين كانوا يرفعون (٢٨) راية مع (٥٠) مدفعاً شاهانياً، وعدد (١٠) مدافع من نوع (قولومبورني)، وعدد (٤) مدافع من نوع (باليومز)، وكانت العساكر المنتقاة من (باشلي)، و(داشلي)، و(حسني)، و(الحسيني) يسيرون بتمهل على جانبي المدافع، ويسير خلفهم ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة الفدائيين، وقد وقف الجميع

على هذه الشاكلة لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة، فقام الباشا بلبس (الزرد)، وحمل سيف على كتفه، وقام بأداء ركعتين من الصلاة. وعندما بدأ جميع العساكر بالسير في سهل طريق (أووا)، كان الرقباء يسيرون بين صفوف الجيش ويقولون: "انتبهوا أيها الغزاة واعلموا، بأن هذا اليوم هو يوم كربلاء، إن العدو الماثل أمامكم هو عدو روحكم ودينكم، إذهم (يزيديون)، ولم تبق في الأمر ذريعة، اليوم هو يوم العثمانيين، فلا تكونوا غافلين". وعندما ظهرت أمام الجيوش سواتر خان (بدليس)، وحسب أوامر الباشا، تم رفع الأذان المحمدي لثلاث مرات، وقرعت الطبول الأميرية تسع مرات. وعندما وصل جيش الباشا إلى مرمى المدفعية، وقفوا وتوجه كل قائد إلى المكان المخصص له، وفي البداية تقدم (بك ملازكرد) إلى أمام (شاكر أغا) وزير الخان في جبل (ديوان)، وتوجه (بك كارني) إلى جبل (أويخ) لمواجهة (عرب خليل أغا)، وعندما وصل الخبر للباشا أنه أحيط بالمدينة من جهاتها الأربع، أمر المدفعية بالقصف.

كان النصر حليف قوات الباشا، ولقد فر "عبدال خان" بعد أن هيأ لكل واحد من أفراد عائلته من الأطفال والنساء فرساً أصيلاً، وأخذ الأشياء الثمينة جداً من أمواله. وتوجه مع خمسة آلاف مقاتل من أصحاب البنادق إلى جبال "مودكي"، وبالرغم من أن علاقته لم تكن جيدة مع "علي أغا المودكي" إلا أن مع ذلك توجه لطرفه، فوضع نسائه وأطرافه لديه، أما هو فقد خرج من عنده بعد أن خف حمله، وعندما وصل هذا الخبر للباشا، قام بإرسال (عدوه اللدود) محمد بك ملازكرد خلفه لتعقبه. ولقد تمكن الباشا من السيطرة على قلعة (بدليس) في الخامس والعشرين من شهر رمضان لعام ١٠٦٥هـ. إلا أن لم ينجح في اللحاق به (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٢٨٣- ٣٠٤).

**اعتراف "ملك أحمد باشا" عن أسباب الهجوم على بدليس:**

كان الدافع الرئيس لقيام الباشا بالهجوم على خان بدليس هو عدم قيام "عبدال خان" بمباركة سيطرة السلطان "مراد خان" على مدينة بغداد عام ١٠٤٨هـ، فتألم "مراد خان" من ذلك، وطلب من "ملك أحمد باشا" أن يأخذ بالثأر من خان بدليس، فكان ذلك هو الدافع الرئيسي للقيام بهذا الهجوم، وهو الأمر الذي أسر به "ملك أحمد باشا" إلى "أوليا جلبي" ونقلها "جلبي" بكل أمانه (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٣٠٢). وإن دلت هذه الرواية على شيء، فإنما تدل على إن الهجوم على "خان بدليس" كان مدبراً من جانب الباشا لشيء في نفسه، وأنه تظاهر أمام أغوات "وان" بالعدالة عندما طلب دعوة "عبدال خان" للمحاكمة في "وان"، بل أن الأكثر من هذا أنه نجح في خداعهم، لدرجة أنهم من طلبوا التعجيل بالهجوم على "بدليس" وهو يتظاهر بالتأني.

**تنصيب خان وان الجديد:**

يقول أوليا جلبي أن حضر إلى مجلس الباشا عدد من رجال الدين والشيوخ وكبار القوم ووجهاء بدليس، وكان يتقدمهم أولاد (عبدال خان)، وكان الأول هو (ضياء الدين بك) من زوجته

بنت (زال باشا)، ثم الأكبر منه وهو (بدر الدين) من زوجته (عرب خانم) ثم (نور الدهر) من زوجة أخرى، فقبلوا أيدي الباشا وقام الباشا بتقبيلهم أيضاً، وأجلس (ضياء الدين بك) على جانبه الأيمن، و (بدر الدين بك) في الجانب الأيسر، ثم أجلس البكوات الآخرين في المجلس بالتسلسل. وفي هذا المجلس تم تنصيب (ضياء الدين بك) بصفته خان بدليس، وتم مبايعته (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٣٠٧- ٣٠٩).

ولقد استولى الباشا على العديد من ثروات "عبدال خان"، ولقد وصفها أوليا جلبي بالتفصيل، ولكن ما يستوقف الباحث هو كمية المخطوطات التي تم الاستيلاء عليها، والتي تحتوي على موضوعات مهمة جداً، إلا أن الأمر المثير للاشمئزاز هو كيفية التعامل مع تلك الثروة العلمية، فجاء في وصف أوليا جلبي لتلك المخطوطات ما يلي: "... الأشياء لثمينة لـ(عبدال خان) والتي تم بيعها بحضور الباشا وبسعر رخيص. الأشياء هي: سبعة عشر مجلداً من القرآن الكريم كتبت بشكل منقوش للملوك وبخط (ياقوت المستعصمي)، وأحمد قرة حصاري، والشيخ بايزيد الولي، والشيخ قرة محمد، وعبد الله قريمي، وخالد أفندي أسكوداري، ودميرجي حسن جلبي وهو من طلاب قرة حصاري. وألف وثلاثمائة مجلد من التفاسير والكتب الثمينة..... وجميعها من التفاسير التي لا يمكن الحصول عليها حتى لدى شيوخ الإسلام. وألف وثلاثمائة مجلد من الأحاديث النبوية. ... وعدة كتب ثمينة أخرى... وألف مجلد من المخطوطات المتنوعة. .... وكتب عديدة أخرى منقوشة ومزينة. مع (٢٦٠) قطعة من المخطوطات، بحيث أن كل صفحة منها كانت تعادل مائة قرش .. ومعها مخطوطات للخطاطين القدامى، وكانت بعض تلك المخطوطات تتألف من ٦٠٠ صفحة، وكانت جميعها مخطوطات تعود لزمن السلطان (بايزيد).... وقد تم بيع هذه السجلات بشكل رخيص، بحيث لا يساوي ثمنها نقطة منها. وأ**حمال سبعة جمال** من الكتب الثمينة والتي كانت تحمل ختم الخان. .... الفتوحات المكية تأليف الشيخ " محي الدين العربي"..... فتح مصر بخط السلطان "سليم خان" وهو من تأليف الكاتب "يوسف خان". ... من غير هذا كان ناك (٧٦) مجلداً من الكتب الفارسية والعربية والتركية من تأليف (عبدال خان) نفسه، مع (١٠٥) رسائل منوعة ومختلفة، كان معظمها باللغة الفارسية. مع مائتي مجلد من أطالس (مينور) والجغرافية (وبابا مونت) وكتب علم الهيئة والحكمة من مطبوعات الأفرنج، وكل من كان يراها كان يفقد وعيه لفرط جمالها، مع بضعة خرائط للعالم القديم والجديد، والتي كان يدور رأس الناظر عند النظر إليها، مع كل أنواع الأعشاب والنباتات التي كان الأطباء يحتاجونها. مع صور لجميع أعضاء جسم الإنسان، بحيث لا يستطيع أي ناظر من التمييز بينها وبين الأعضاء الحقيقية وكانت مصورة في بلاد الإفرنج. مع مائتي منظر ولوحة عجيبة كانت قد رسمت بأيدي العجم والإفرنج، وكل واحد منها كان مثالا للسحر الحلال، وكانت إحدى تلك اللوحات

لمعركة بحرية بين مجموعتين من السفن الحربية، وكانت باختصار أشب ما تكون بأعمال السحر، إذ يظن المشاهد إليها أنها معركة حقيقية تقع أمام الأنظار. وكانت هناك أعمال لكبار الفنانين المشهورين العالميين...، بحيث كانت تجحظ أعين المشاهدين، ولا يشبعون من النظر إليها. .... وكانت من بينها صور نقشت على القماش... كما كان من بينها تخطيط بالقلم لـ (رضوان بك) من بلاد مصر والذي هو فريد زمانه" (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٣١١- ٣١٨). أما عن الحالة التي وصلت إليها تلك المخطوطات الثمينة، فيصف أوليا جلبي حالتها قائلاً: "نعم كانت هناك الألاف من الأعمال الفنية الرائعة عالمياً، كانت قد وضعت في المزاد الرخيص، فكان يأتي مختلف أنواع الكورد، ومن الرعاع.... فكانوا يقلبون في هذه الصور واللوحات ويأخذونها من هذه الخيمة إلى تلك الخيمة للنظر إليها دون معرفة قيمتها الأصلية، ثم يعيدونها إلى أيدي الدلال، بعد أن تصبح مهلهلة ومجعدة. .. كانت هذه الأشياء الثمينة والنادرة التي تحدثنا عنها، تباع وتشترى أسوة بالفجل والجزر...." (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٣١٨). ويضرب أوليا جلبي مثالاً بمصير تلك المخطوطات النادرة، فيصف أحد التجار الذي قام بشراء نسخة من (الشاهنامة) [١٠]، حيث قام بتشويه جميع الصور النادرة في هذا الكتاب بحجة أن الصور محرمة، وقام بواسطة (سكين تركماني) بخلع العيون من جميع تلك الصور عن طريق حفرها وإحداث ثقوب في صفحات الكتاب، كما قام بقطع رؤوس بعض تلك الصور بواسطة السكين، أو بتشويه الوجوه الجميلة والملابس الفاخرة لتلك الصور... (جلبي، ٢٠٠٨، صـ ٣١٨، ٣١٩).

**وفي الختام**، فإنه يتبين من دراسة رحلة أوليا جلبي إلى كوردستان مدى التقدم والازدهار الحضاري الذي شهدته مدن كوردستان منذ القرن السابع عشر الميلادي، والتي تدل على تراث حضاري كوردي متميز عن الدولة العثمانية، فحافظ الأكراد على هويتهم عبر التاريخ، وتناقلت الأجيال تلك الهوية جيلاً بعد جيل. كما يتضح أيضاً من تلك الدراسة مدى حجم المؤامرة التي كان يهيئ لها العثمانيون للأكراد، ولم تفطن أذفس الأكراد لتلك المؤامرات، لدرجة أذهم ساعدوا "ملك أحمد باشا" في التخلص من خان "بدليس". وفي الوقت نفسه لم يكن "ملك أحمد باشا" يثق في الأكراد، فنجده في وقت المعركة يجتمع مع أهل جلدته ويتعاهد معهم في حال خزلان الأكراد له، مع العلم أن أوليا جلبي لم ينقل أي شيء يدعوه من الخوف من الأكراد، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أمر في نفوس العثمانيين بوجه عام تجاه الأكراد.

## قائمة المصادر والمراجع


- أحمد، أحمد محمد، (٢٠٠٩)، **أكراد الدولة العثمانية تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ١٨٨٠-١٩٢٣**، دار سيبريز.

- أوليا جلبي الرحالة التركي، (٢٠٠٢)، **سياحتنامه مصر**، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام، أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة أحمد فؤاد متولي، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
- أوليا جلبي، (٢٠٠٨)، **رحلة أوليا جلبي في كوردستان عام ١٠٦٥ هـ/ ١٦٥٥م**، ترجمة: رشيد فندي، أربيل: مطبعة، خاني- دهوك.
- سليمان، أحمد السعيد، (١٩٧٨)، **تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل**، القاهرة: دار المعارف.
- صابان، سهيل، (١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م)، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية.
- عامر، محمود، (٢٠١٢)، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، **مجلة دراسات تاريخية**، عدد ١١٧.

**مواقع إلكترونية:**

- **فهرس المكتبة الوطنية الألمانية، على الربط الإلكتروني التالي:**
https://portal.dnb.de/opac.htm?method=simpleSearch&cqlMode=true&query=nid=102828732

**الهوامش:**

---

(١) أفندي: من الكلمة اليونانية [أفنديس] Avandes، دخلت اللغة العثمانية الأناضولية في وقت مبكر واستعملها العثمانيون في القرن الثالث عشر الميلادي، وكثر استعمالها بعد ذلك في العهد العثماني، واستعملها العثمانيون لقباً للرجل الذي يقرأ ويكتب، واستخدمت لقبا أيضاً لبعض كبار الموظفين، فقد كان يقال لرئيس الكتاب "رئيس أفندي" ولقاضي استانبول، استانبول أفنديس، أي أفندي استانبول، وكان لقباً للأمراء أولاد السلاطين، وأطلقت على مشايخ الإسلام، وكثيراً ما نقول أبو السعود أفندي، وكان العثمانيون يطلقونها على رؤساء الديانات الأخرى. كما كان الجيش العثماني يلقب الضابط بلقب أفندي حتى رتبة البكباشى، أما الملازمون واليوزباشيه [الألية العلالية] يلقبون بلقب أغا لا بلقب أفندي، كانت المرأة تلقب بلقب أفندي، فيقال [خانم أفندي] وكان يقال لزوجة السلطان [قادين أفندي] وربما الحقت كلمة أفندي بكلمة بك. وكانت كلمة أفندي تطلق في اللغة العربية على الكاتب الموظف في الدولة، وكان الروزنامجي في مصر هو رئيس الأفندية. "انظر، سليمان، أحمد السعيد، (١٩٧٨)، **تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل**، القاهرة: دار المعارف، صـ٢٠".

[٢] سلحدار أغا: هو مدير موظفي الغرفة الخاصة، وكان يحمل سيف السلطان على كتفه في المراسم الخاصة، ويمشي وراءه. انظر: "صابان، سهيل، (١٤٢١/ ٢٠٠٠م)، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، صـ ٣٥".

[٣] مدينة وان: هي مدينة قديمة على جانب بحيرة وان على طريق إيران وهي من أكبر المدن الكردية ترتفع نحو ١٧٥٠ مترًا عن سطح البحر تحيط بها جبال مرتفعة تغطيها الثلوج معظم أيام السنة. انظر: "أحمد، أحمد محمد، (٢٠٠٩)، **أكراد الدولة العثمانية تاريخهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ١٨٨٠-١٩٢٣**، دار سييريز، صـ ٧٨".

[٤] تقع إمارة بدليس فى جنوب غرب بحيرة وان وتضم فى حكمها مدينة بدليس وتوابعها الصغيرة.

[٥] تقع مدينة "اسكودار" على الساحل الشرقي لمضيق البسفور في مقابل إستانبول.

[٦] تطرق الرحالة أوليا جلبي إلى أساس تسمية منطقة ملاطية بهذا الاسم؛ فيسميها العجم "اسبوزان"، أما التوركمان "مال آتية" والعرب "ملاطية"، ويسميها اليونانيون "رقبة". وأن أعيان المدينة يقولون أنها تسمى (مال آتيه) أي أن المال يأتي. **انظر**: "رحلة أوليا جلبي في كوردستان، المصدر السابق، صـ ٢٠، ٢١".

[٧] **خان: هو لقب الملوك والأمراء وسادة الأتراك، كما يعني منزلاً للمسافرين والتجار.** "انظر: عامر، محمود، (٢٠١٢)، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، **مجلة دراسات تاريخية**، عدد ١١٧، صـ ٣٧٢".

[٨] القبان: هو ميزان قديم يستعمل لوزن الأشياء الثقيلة، مثل وزن أكياس الحبوب أو صناديق الفاكهة. وقد توسع معنى القبان بين الشعوب في الشرق الأوسط، بحيث أصبح المحل الذي يستعمل فيه يسمى (القبان)، أو يسمى (العلوة). انظر: رحلة أوليا جلبي في كوردستان، المصدر السابق، صـ ١٢٢.

[٩] **يرى الباحث أن استخدام هذا التعبير دليل على إبداء الضعف أمام رسول الباشا، وللدلالة على شدة المصاب، وكنوع من استعطاف الباشا، عندما يتم وصف حال الخان عند استقبال رسالة الباشا.**

[١٠] الشاهنامة: أشهر ملحمة فارسية، كتبها الشاعر الفردوسي (٩٣٢- ١٠٢٠م) شعراً، وهي تتألف من ستين ألف بيت من الشعر، وهي في سيرة ملوك وأبطال الفرس. انظر: **رحلة أوليا جلبي في كوردستان**، مصدر سابق، صـ ٣١١.

**Kurdish cultural and civilizational heritage in the writings of travelersduring A study in the writings of the traveler "Elia Chalabi" ,the seventeenth century to Kurdistan 1065 AH / 1655 AD**

**ABSTRAC**

The Kurdish identity is a distinct identity, and it has solid foundations in the formation of the Kurdish nation. From this point of view, the motive for choosing the subject of the study was to explore the Kurdish cultural and civilizational heritage as one of the motives of Kurdish nationalism, as the Kurdish heritage is a distinctive heritage, and adhering to it and developing it for sustainable development helps the continuity of the Kurdish identity, especially with the increasing challenges in the era of globalization, which is characterized by the interpenetration of cultures With the spread of the Internet and social media, it may cause the disintegration of societal values, and thus the elimination of the distinctive identity of peoples.

Heritage is the inheritance of parents and grandparents, and heritage is divided into tangible and intangible heritage. During the study, light will be shed on the bright spots of the tangible and intangible Kurdish heritage. The current study sheds light on the writings of the traveler "Elia Chalabi" during his trip to Kurdistan during the seventeenth century AD, where the Kurdish cultural manifestations that he described will be dealt with through criticism and analysis, by studying issues related to lifestyle, customs and traditions, Kurdish crafts and industries, and heritage. Kurdish urban design of cities, castles, houses, and Kurdish folklore.

The study deals with the aspects of life in Kurdistan through two main topics, the first of which relates to some aspects of civilization in Kurdistan through the vision of Elia Chalabi; As for the second topic, it is related to the relations between the Kurds and the Ottomans, by examining the circumstances that were associated with the Ottoman attack on Bidlis.

**Keywords**: *Kurdish emirates, travels, Ewliya Chalabi, Bitlis, civilization*

# کولتووریێ رەوشەنبیری و شارستانیا کوردان د پەرتووکێن کەروکان ل سەدەیێ هەڤدێدا خواندنەکا د کەریانا ئەولیا چەلەبی بو کوردستانێ ١٠٦٥مش/١٦٥٥ز


**پڕخته:**

نا سنامەیا کوردی نا سنامەیەکا جیاواز هه یه کو ل سەر چەند ستوونان ئا ڤا بوو یه ئەوژی زمام، میژوو، رەوشەنبیریا هەڤپشک کو ب هەڤرا شارستانیا کوردان ئاڤا دکەن.

کولتوور ئەو میرا ته کو ژ باب و کالان ما یه و بو دوو به شان لێکڤه دبیت: کولتووریێ ماددی و یێ نەماددی. و دڤێ ڤەکولینێدا دێ روناهیێ بەردەینه سەر هەردوو جورێن کولتوری د ناڤ کومەلگەها کوردان ل سەدەیێ حه ڤدێ دا ب ریێ کا خواندنه ڤەیا پەرتووکا ( سەیاحەتنامه) یا گەروکێ تورك ئولیا چەلەبی، و تێدا دێ بەحسێ د یاردەییێن شارستانیا کوردان و جورێ ژیان و دابو نەریتان و پێشه سازی و پیه شەییێن خو ماليێن کوردان، هەروه سا کول تووریێ ئا ڤەدانیێ ل کوردستانێ ژلایێ دیزاینکرنا بایژر و کەلا و خانیان و فولکلوریێ کوردی هێتە کرن.



**پەیڤێن سەرەکی:** *میرێ شینێن کوردان، گەریان، ئەولیا چەلەبی، بەدلیس، شار ستانی.*